الملحق الثقافي

ملحق أسبوعي يصدر كل ثلاثاء عن جريدة الثورة - العدد 1099 2022/6/14

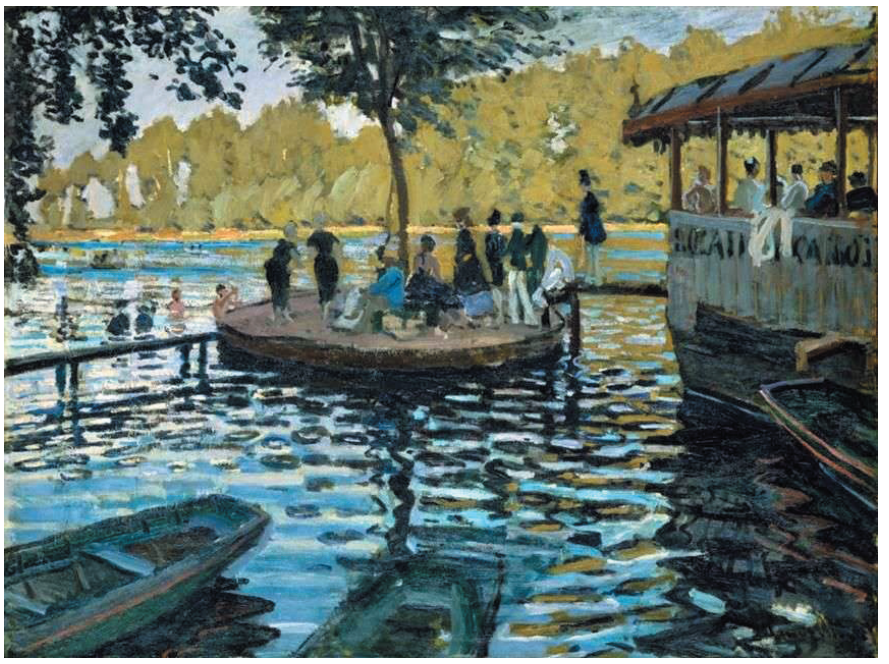

ملف العدد

كلود مونيه
قناص اللون

أول الكلام

نقاد تحت الطلب ..

▪ ديب علي حسن

مازالت في الذاكرة تلك المعركة النقدية التي دارت منذ زمن بعيد بين الشاعر الكبير نزار قباني والناقد الكبير أيضاً مارون عبود، حول قصيدة لنزار قباني يتحدث فيها عن سيدة اسمها جانيت ...

يختم نزار قباني رده قائلاً : سنقول يوماً ما كتبنا شعراً بعصر مارون عبود ...نعم كتبنا شعراً بعصر مارون عبود وكم في هذا القول دلالة على احترام الشاعر للنقد وكم يوليه من الأهمية والمكانة العالية ..

يوم كان النقد نقداً بأدوات النقد على تعددها.

ويرد مارون قائلاً: النثر مشي والشعر رقص فارقص لنصفق لك ..

الرقص الذي يحلق بك في فضاءات الإبداع ويحمل معك كل من يقرأ...

اليوم لكل كاتب وكاتبة شاعر وشاعرة، عشرات النقاد الذين لا يعرفون ألف باء حتى القراءة لكنها الجمل الجاهزة التي تكاد تكون حرفية ونسخاً عن بعضها بعضاً.

يروى أن ناقداً راحلاً وكان له الباع في النقد لكثرة الإلحاح عليه من قبل ...

أعد نصاً نقدياً جاهزاً يستخدم لكل شاعرة فقط يبدل الشواهد الشعرية واسم الشاعرة وتكون الدراسة جاهزة.

تجربته هذه على ما يبدو تعممت كثيراً وبأشكال مختلفة .

المشهد مخجل جداً، فما تكاد تصدر مجموعة شعرية أو قصصية لأحد حتى تفاجأ أن الناقد فلان وفلان سوف يكونون ضيوف الندوة التي تحتفي بها ..

والمصطلحات الجاهزة سيدة الموقف ..

وقس أيضاً ذلك على الكتاب من ذوي المواقع الثقافية فور صدور أعمالهم تحجز المنابر ويحجز النقاد ..والتغطيات الإعلامية جاهزة ..

المشهد محزن، ومؤسف لقد طردت العملة الرديئة العملة الجيدة ونحن في الإعلام لسنا ببراءة من الأمر ولهذا حديث آخر.

تحولات الكائن الأدبي

أخفقوا في الدراسة وأبدعوا

دور الثقافة في إدارة الأزمات

الحكمة من دوح الشعر

رئيس التحرير
أحمد حمادة

مدير التحرير
معد عيسى

إشراف
ديب علي حسن

الإخـــراج
هدى نصر شمالي

توجه جميع الرسائل
باسم هيئة التحرير
دمشـــق ص.ب ٢٤٤٨
هاتف ٢١٩٣٢٢٢

احتفاء

فارس زرزور مكرماً

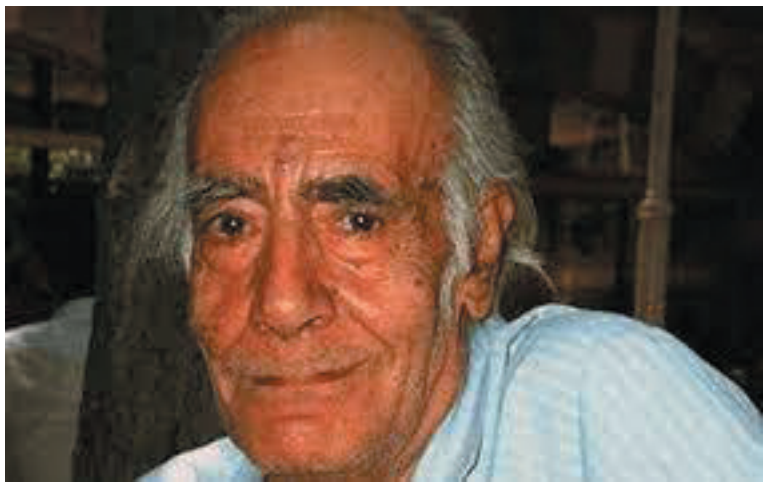

تقديراً لمسيرته الثقافية والأدبية وتكريماً لمواقفه الوطنية تم إطلاق اسم الروائي الكبير فارس زرزور الذي يعد أحد أهم كتاب الأدب الروائي السوري المعاصر على مدرج المركز الثقافي العربي في الميدان وذلك ضمن ندوة ثقافية.

وتخلل الندوة التي حملت عنوان (فارس زرزرو..فارس الرواية السورية) وإدارتها رئيسة المركز ليلى صعب عرض فيلم وثائقي تناول محطات من حياته الأدبية والثقافية التي أغنى من خلالها المكتبة السورية والعربية بالعديد من الإصدارات الروائية والقصصية إضافة إلى أداء وصلة موسيقية غنائية قدمتها فرقة شبيبة الأسد للموسيقا في الميدان تحية منهم لروحه وتقديراً لتاريخه.

واعتبر الدكتور الناقد عاطف البطرس أن فارس زرزور المؤسس الفعلي للرواية التاريخية في سورية بالمعيار الفني ولو سبقه كتاب آخرون إلا أنه استطاع أن يقدم رواية تقوم على حل المعادلة الصعبة بين البطلين الروائي والتاريخي فحافظ على المحطات البارزة في حياة بطله تاركاً لنفسه حرية التخيل بمكونات ومقومات شخصيته.

وأضاء الباحث أحمد بوبس على محطات من حياته التي ارتبطت بمواقفه الوطنية والقومية وطرائق كتابته وعلاقاته الإنسانية والاجتماعية والذي عرف عنه بأنه كان إنساناً محباً ووفياً وصادقاً وعزيز النفس وكريم الأخلاق بالرغم من الظروف الصعبة التي عاشها.

يشار إلى أن فارس زرزور الراحل عام ٢٠٠٣ من مواليد دمشق ١٩٣٠ تلقى فيها تعليمه إلى أن أصبح أحد علام الأدب العربي ولديه العديد من الإصدارات الأدبية منها في الرواية (الأشقياء والسادة والمذنبون واللااجتماعيون والحفاة وخفي حنين) وفي القصة (حتى القطرة – لا هو كما هو –أبانا الذي في الأرض) إضافة إلى العديد من الدراسات والمقالات التي نشرها في الصحف والمجلات السورية والعربية حيث نال العديد من الجوائز.

كما تم نشر بحث تاريخي بعنوان (معارك الحرية في سورية) رصد فيه تاريخ نضال الشعب العربي السوري من أجل حريته واستقلاله ولم يبق اهتمامه بهذا الجانب من التاريخ محصوراً بالبحث والتقصي بل امتد إلى الكتابة الروائية متجسداً في ثلاثيته التاريخية (حسن جبل و لن تسقط المدينة وكل ما يحترق يلتهب) التي اقتبس منها الفيلم السينمائي الفهد.

معرض

منحوتات ومجسمات جميل قاشا بدمشق

كان جمهور الفن التشكيلي السوري على موعد مع معرض الفنان التشكيلي ابن مدينة حماة جميل قاشا والذي افتتح في غاليري جورج كامل بدمشق.

وتضمن المعرض الذي يعد الثلاثين للفنان قاشا في دمشق عدداً من القطع الفنية تنوعت بين منحوتات استوحى أغلبها من الطبيعة ومجسمات معدنية غلب عليها الطابع البيزنطي.. تلك القطع التي تعد ترجمة واقعية لأفكار الفنان قاشا بأسلوب تجريدي مضيفاً إليها بصمته الفنية.

وفي تصريح له قال قاشا عن النحت باعتباره فناً خاصاً يحتاج عن غيره من الفنون إلى أماكن معينة ومواد بعينها بالإضافة إلى أنه يحتاج إلى جهد مبذول أكثر للحصول على العمل الفني المطلوب بأكبر قدر من الدقة.

وعن المعرض أشار قاشا إلى أن التحضيرات لأي معرض تستغرق وقتاً طويلاً ربما يصل إلى سنتين تبعاً لعدد القطع ونوعها مبيناً أن ذلك يخضع للحالة العامة للمجتمع والأفكار التي تطرحها تلك الحالة.

وعن ارتباط أغلب منحوتات المعرض بالطبيعة قال قاشا: «الفن بتعريفه هو ممارسة بمادة الطبيعة أو الإنسان مضاف للطبيعة ودور الفنان يكمن في عكس الطبيعة بما تحتويه من عناصر في إطار عمله الفني».

يذكر أن الفنان التشكيلي جميل قاشا تخرج من كلية الفنون الجميلة في دمشق عام ١٩٨٢ وأقام معارض عديدة في سورية وخارجها تجسدت في النحت على الحجارة المستخرجة من نهر العاصي والنهر الكبير الشمالي

كتاب العدد

حسب الترتيب الهجائي

دلال ابراهيم
سلام الفاضل
سهيلة اسماعيل
شهناز فاكوش
غسان كامل ونوس
محمد خالد الخضر
منال يوسف
مها محفوض محمد
نبيل نوفل

كلود مونيه.. قناص اللون الساحر

مها محفوض محمد

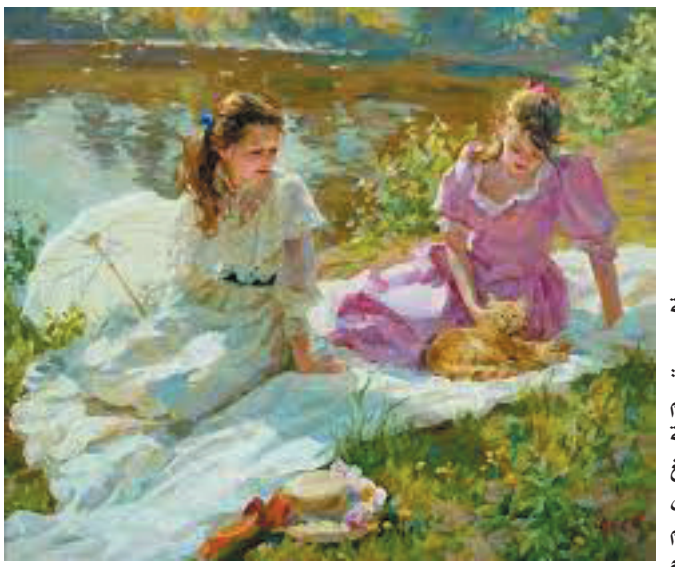

هو رائد المدرسة الانطباعية في الفن، فقد اشتق اسم هذه المدرسة من إحدى لوحاته الفنية.

في محطات حياته كما تتحدث المواقع عنه أنه ولد : في١٨٤٠/١١/١٤م والذي كان من أبرز زعماء طريقة الرسم في الهواء الطلق، وأحد أشهر مؤسّسي الانطباعية. في بداية حياته عشق البحر وظل شغوفاً به طوال حياته. وعندما بلغ سن الخامسة عشرة كان قد برع في الرسوم الكاريكاتورية، حتى اشتهر إلى الحدّ الذي جعلهُ يتكسّب منها عندما كان يرسم الوجوهَ مقابل عشرين فرنكاً للرسم الواحد. في عام١٨٥٩م سافر إلى باريس للالتحاق بالأكاديمية السويسرية. وفي العام التالي التحقَ بالجيش وأرسل إلى الجزائر، ومن هناك كتب يصف وقع الألوان الشديدة والألوان المتوهّجة في هذه البلاد الشرقية على نفسه. ولكن أصابته بحمّى التيفوئيد عجّلت بتسريحه من الجيش، فغادر إلى باريس ليواصلَ تعلمهُ للفنّ، وهناك توطّدت علاقته مع بعض الفنانين الشباب أمثال أوجست وفي عام ١٨٧٤، خرج مع أصدقائهِ للرسم عن الطبيعة في غابة فونتينلو . وعندما بدأت الحرب الفرنسية الرُوسيّة سافر مونيه إلى إنجلترا هارباً من هذه الحرب، وهناك عكف على رسم المناظر الطبيعيّة في حدائق لندن. وفي العام نفسه (١٨٧٤م)رُفضت أعمال مونيه وأوجست وغيرهم من الفنانين ممّا حدا بهم لإقامة معرض مُستقلّ لهم . إنجازات كلود مونيه: رحل مونيه عن فرنسا إلى إنكلترا بعد اندلاع الحرب الفرنسية الروسية، ولمّا عاد إليها عام ١٨٧٢، قرّر الإقامة في أرجنتيويل، إحدى المدن الصغيرة بالقرب من باريس. وخلال تلك الفترة، زار الكثير من أصدقائه الفنانين، وتعاون مع عدد منهم لتأسيس جمعية للفنّانين والنحّاتين والنقّاشين، وكان ثمرة هذا التعاون إقامة معرض فنّي لعرض جميع أعمالهم.

رسام الحدائق

كان يحب الرسم في الهواء الطلق ولاسيما في الحدائق، كما شكّلت زنابق الماء في برك المياه عنصرًا مهمّاً في بعض اللّوحات التي رسمها في تلك الفترة. أشهر أقوال كلود مونيه: عزائي الوحيد في هذه الدنيا هو وقوفي مباشرة أمام الطبيعة أثناء الرسم ، وقد سعيت من وراء ذلك الى تصوير انطباعاتي عن تلك اللّحظات سريعة الزوال فيها . حقائق سريعة عن كلود مونيه: حاول الفنان مونيه الانتحار في عام ١٨٦٨ ،بعد ولادة طفله الأول بسنة واحدة ، فحاول أن يغرق نفسه في نهر السين. وفي عام ١٩١٨، تبرّع الفنان مونيه باثنتي عشرة لوحة من لوحاته المرسومة بالألوان المائيّة إلى فرنسا احتفاءً بالهدنة في أعقاب الحرب العالمية الأولى. ادّعى كلود مونيه في مقابلة أجريت معه بأنّ الرسام الفرنسي، إدوارد مانيه، كان يبغضه؛ لأنّ الناس اعتادوا أن يخطئوا بين اسميهما. عن كلود مونيه الذي يرسم كما يغنّي الطير: شيئاً فشيئاً استطعت أن أفتح عيني، وأن أتفهّم الطبيعة كلود مونيه. لمونيه علاقة فريدة مع الطبيعة وعناصرها. فقد تناغم معها بطريقة ساحرة عبرت عن شغفه بها، حيث قدّم لوحات تنبض بالحياة نكاد نشعر أثناء مشاهدتها بالهواء النقيّ ورذاذ الموج على وجوهنا، وكذلك أصوات أشرعة القوارب عندما تحتكُ بالهواء. فمونيه لم يرسم الطبيعة في غرفة مُغلقة، بل كان يصوّر لوحاته في الهواء الطّلق، وكان لديه رحلات للرسم في الطبيعة مع أصدقائه الفنانين. فقد كتب صديقه فريدريك بازيل إلى والدته قائلاً :«لقد أمضيت ثمانية أيام في قرية شيلي الصغيرة بالقرب من غابة فونتانبلو، وكنت بصحبة صديقي مونيه، وهو متميّز في تصوير المناظر الطبيعيّة. وقد أعطاني بعض النصائح. في تلك الرحلة مع صديقه بازيل أنجز مونيه لوحة «مصبّ نهر السين عند هونفلور» في العام ١٨٦٥. هذه اللّوحة وغيرها من لوحات البحر تظهر لنا مدى تعلُق مونيه بالبحر. فلوحة (مصبّ نهر السين عند هونفلور)على وجه الخصوص، تجعلنا نشعر أنّنا مكان مونيه. نتأمّل أمواج البحر العالية، ونستمع لأصوات الصيّادين في المراكب الشراعية الممزوجة بأصوات النوارس التي تحوم في الأعلى، وذلك بالقرب من الغيوم البيضاء الخفيفة في وقت الظهيرة، والسماء زرقاء ومُضيئة. أبرز أعماله: شروق الشمس . مستنقع الضفادع. نساء في حديقة. مجموعة من الصور. الفطور. مناظر طبيعية في «أرجونتوي وفيتوي

كلود مونيه معلم الانطباعية قدمه (غراند باليه) في باريس في أكبر معرض فرنسي الأول من نوعه منذ ثلاثين عاماً.

لقد كان حدث العام ٢٠١٠ في باريس، العرض التاريخي الخاص بأحد مشاهير الفن في العالم صاحب «أزهار النيلوفر»، قناص الألوان الرائد في الكلاسيكية والحداثة العبقري دون شك رسام لوحة «جيفرني».

لقد أراد مع أصدقائه بازيل ورينوار وبيسارو وسيسلي وعلى طريقته الخاصة إعادة اكتشاف العالم ووصف الحقيقة بالرسم كما كان يدركها من خلال إحساسه النقي في تلك المرحلة التي كانت المطالبة خلالها بالموضوعية بمثابة عمل ثوري وكان مونيه يدفع بالتأمل إلى أبعد حدوده وخلال ستين عاماً من عمله لم يتوقف عن التجديد والإبداع.

مونيه الذي مشّط شواطئ النورماندي ليس هو ذات الفنان المأخوذ أو المفتون بألوان المتوسط كما أنه المختلف عن ذلك الوقور في لوحة جيفرني.

بدأت مغامراته عندما بلغ التاسعة عشرة حيث أقام في باريس والتقى برفاق العمل سيسلي ورينوار وبيسارو وكان دائم البحث عن مواقع جديدة لم تستقر في مكان من فونتين بلو إلى اونفلور إلى... إلى باريس وضواحيها وكان حيث يحلو له ينصب حاملة رسمه وسط الطبيعة ويبدأ العمل ملتقطاً تبدلات السماء وانعكاسات الظل على الماء وآنية الضوء السريع الزوال.

وفي تلك الفترة عاش مونيه مرحلة بؤس فحين كانت ترفضه المعارض الرسمية كان ينظم معرضاً جماعياً كما حدث في معرض نيسان ١٨٧٤ في مشغل قديم للمصور نادار في باريس.

وقد كتب يومها محرر الأخبار لويس ليروي في صحيفة شاريفاري منتقداً لوحات مونيه «انطباع شروق الشمس» وفيها رؤية للرسام من مرفأ الهافر وكأنها صورة التقطت مع ضباب الصبح لتغدو بعدها اللوحة -دون علم صانعها- شعار الرسم الجديد ولتولد معها الحركة الانطباعية.

في عام ١٨٨٠ يروق الأفق أمام مونيه ويلتقي تاجر اللوحات بول دوران رويل الذي يبدأ بشراء اللوحات بانتظام لعرضها في نيويورك ليذهب الرسام إلى هناك وتقوده الصدف لاكتشاف قرية جيفرني حيث أقام هناك في العام ١٨٨٣ وكان عمره ٤٣ عاماً ورسم لوحاته الشهيرة فأكوام القش الموجودة على مقربة من منزله هي التي حددت علامات المشهد في لوحة جيفرني الشهيرة وفيها يركز على قوة الإضاءة وحجمها المطابق لأوقات مختلفة من النهار ومن أيام السنة ومع حرارة الصيف واحمرار الخريف أو تحت برد شمس شتوية كاشفاً في كلّ مرة عن نسق لوني لم يسبق له مثيل.

لقد انطلق مونيه من مبدأ العمل الفريد المنجز في الهواء الطلق كما نقلت أعماله فلسفة خاصة عبرت عن سريرة وإيحاء خاص قاده إلى إنجاز لوحته «أزهار النيلوفر».

في عام ١٩٠٩ أقيم معرض ضم حوالي خمسين لوحة له ما أثار جدلاً واسعاً وكان انتصاراً له.

يتمتع مونيه بشعبية كبيرة فهو الرسام المفضل لدى الفرنسيين واليابانيين والأميركيين.

يقول غي والد نستين صاحب معرض في نيويورك:

لقد جذبت لوحات مونيه في نيويورك أكثر من خمسين ألف زائر وكان الزوار يقفون لمدة ساعتين للدخول إلى المعرض ويعلق المؤرخ ميشيل باستورو بالقول:

رسوم مونيه نحسها ونميزها فهي لا تتطلب كثيراً من الزاد الثقافي وعندما نتجول عادة في المتاحف نتدرج بين ألوان داكنة مزعجة من العصر الوسيط إلى القرن العشرين لكن حين نصل إلى صالات الانطباعيين نجد الألق وتشرق الألوان لذلك يذهب الزائرون كعائلات لرؤية لوحات مونيه.

فان غوخ يجسد الألم بكلّ معانيه، أما مونيه فيشعرك بالراحة والسعادة فعنده تجد الشتاء دافئاً والماء هادئاً والضوء جذاباً. لقد أمضى سنين في تصويب إحساس البصر للحظته وحين تقف أمام لوحاته فأنت أمام لوحة ناطقة تنبض بالحياة.

في هذا المعرض الذي ينتظر أكثر من نصف مليون زائر يجعل مونيه بين أهم خمسة معارض في أوروبا واقتباساً من لوحة «نساء في الحديقة» صنع العطار فرانسيس كوركدجان شمعة كبيرة أنيقة خاصة بالمعرض كتب عليها:

هذه اللوحة التي رسمها مونيه في شبابه نقرأ فيها غمغمة، نحس فيها بارتعاد وهذا ما يثير المشاعر لقد انطلقت من باقتي الورد اللتين يحملهما الرجل الواقف أمام امرأة جالسة وبجانبها أزهار وأعشاب زينة وترى ظلاً رطباً في اللوحة يأتيك برائحة أغصان مقطوعة.

إن هواة التاريخ يثمنون في مونيه قربه من عصره وعلاقاته مع الأوساط الأدبية وصداقته مع كليمانصو وموهبته في لوحة «النيلوفر» التي تحتفي بانتصار ١٩١٤، أما هواة الديكور فيعشقون المقاعد التي يرسمها ونساؤه تحت المظلات ما يوحي بفن معين من الحياة.

الثقافة ودورها في إدارة الأزمات

نبيل فوزات نوفل

علم إدارة الأزمات هو علم المستقبل، وعلم تحريك الثوابت وقوى الفعل في المجالات الإنسانية كافةً، وتجنب الانهيار التام في التوازن داخل الدولة، والتوفيق بين الحاجة إلى حماية المصالح المعرضة للخطر والرغبة في تجنب التصعيد غير المرغوب فيه للأزمة، وتأمين الأهداف الأساسية والعمل على عدم خروج الموقف عن نطاق السيطرة.. وامتلاك الاستراتيجية التي تنطوي على عناصر أهمها التدبير، والتفكير، والإرادة، والاختيار، وعلى العمل، وهي تتميز جميعها بالشمول، والتكامل، والمرونة، في مواجهة احتمالات التغيير، وفي تبدل الواقع وأحواله..وتلعب الثقافة دوراً كبيراً في حل الأزمات ليس فقط على الصعيد المحلي، بل على الصعيد الدولي، حيث الثقافة تعد من أهم الروابط التي تجمع البشر خصوصاً في ظل الظروف الصعبة التي تعيشها الإنسانية، حيث فرضت العزلة على الإنسان أن ينصت إلى العالم محاولاً فهمه واستيعابه، ثم معاودة التواصل معه من جديد، فالثقافة قادرة على توحيدنا أكثر من أي وقت مضى، باعتبارها قيمة معبرة عن وجود الإنسان وواحدة من أهم معاني حياتنا..وكما تؤكد الوقائع أن الأزمات والكوارث تؤثر سلبياً على الثقافة كما فعل فايروس كورونا، والحروب التي شهدتها المجتمعات البشرية، وآخرها الحرب العدوانية على سورية، حيث تم تدمير الكثير من مواقع التراث العالمي، ومنع زيارتها ،وارتفاع اسعار الكتاب، وتعثر النشر والتوزيع، وغير ذلك وإن كان للاقتصاد الرقمي دور في التخفيف من تأثير الأزمات على الثقافة.

حيث بات بمثابة الوسيلة الوحيدة للحياة الآن، وتفاعل معها العديد من الفنانين والمبدعين الذين أحيوا حفلات فنية من منازلهم، مستفيدين من التقنيات التكنولوجية الحديثة، وكما نعلم إن جائحة كورونا ليست هي الخطر الأول من نوعه الذي يترك آثاراً سلبية؛ حيث خلفت الأزمة العالمية وحالة الركود الاقتصادي عام ٢٠٠٨، آثاراً سلبية للغاية على المؤسسات الثقافية.

تواجه المجتمعات البشرية خلال مسيرتها الكثير من الأزمات، وعلى قدر امتلاكها فهم طبيعة هذه الأزمات وفهم خطورتها وتحديد الأولويات والحلول الإسعافية والاستراتيجية، وامتلاك الوعي من القيادات المسؤولة من جهة والوعي الشعبي تكون المعالجة ناجحة أو فاشلة ومن هنا تبرز أهمية الثقافة ودورها في حل هذه الأزمات أو تعقيدها ..فالمجتمعات الواعية المثقفة التي تحيط بالمشاكل التي تواجهها، وتعلم ماهية التحديات وخطورتها تكون أقدر على مواجهة التحديات والأزمات بعكس المجتمعات الجاهلة التي تعبث بها الشائعات والأمراض والانتماءات تحت الوطنية، والسؤال الذي بات ملحاً اليوم أمام أبناء الأمة العربية وفي مقدمتهم المثقفون، ما هي الثقافة التي تقوم بهذه المهمة، وتجعلنا نطمئن إلى حاضرنا ومستقبلنا، خاصة وأننا نشهد عواصف خبيثة تعصف بالمجتمعات البشرية عامة وفي وطننا العربي خاصة فبتنا في حالة لا نحسد عليها، وسنحاول تقديم بعض الرؤى التي نراها تحصن من ثقافتنا وتعززها لتكون قادرة على مواجهة الأزمات التي تعتري حياتنا العربية في المجالات المختلفة ويأتي في مقدمها:

-جلاء الصدأ عن العقل العربي، من خلال تجديد مكوناته، وتفعيل عناصر الإبداع في أجزائه، كونه الأساس في مواجهة التطرف بأشكاله المختلفة، وتنمية المنزع العلمي النظري، واتباع التيارات الفكرية السياسية العربية منهجية صارمة، ومنتظمة، لممارسة النقد الذاتي، والمراجعة الفكرية المستمرة، وبناء علاقات متوازنة، وموضوعية مع التيارات والأفكار المختلفة، ومع الموروث الداخلي من جهة، والفكر العالمي من جهة أخرى، والتحرر من العصبوية والفئوية، والتمذهب في الفكر والممارسة، وهذا يتطلب وعي الفكر العربي السائد، انطلاقاً من أن وعي الشيء يعني إجرائياً إدراك ماهيته، كما يعني بيان ما له وما عليه، وذلك لمعرفة قدرته على الاستمرار في الحياة، وعلى مواجهة التحديات المفروضة على طبيعة الأشياء في مختلف الميادين، يضاف إلى ذلك، أن وعي الشيء، يعني فيما يعنيه الوقوف على حقيقة مشاكله، لوضع الحلول الناجعة لمعالجتها، كما يعني إدراك أهميته في حياتنا، وشخصياتنا فردياً واجتماعياً وحضارياً وسياسياً، ما يفضي إلى استشعارنا لحقيقة انتمائنا للشيء الذي نعيه، مدركين ما يترتب على هذا الانتماء من الإحساس العالي بالمسؤولية تجاهه، وما يترتب على هذا الانتماء من المبادرة إلى فعل كل ما من شأنه صيانة معانيه، وكل ما من شأنه العمل على الإفصاح في المجال له ليقوم بدوره في مختلف جوانب حياتنا، وتوفير السبل الميسرة لتأدية دوره، وهذا يتطلب:

محمد أركون

-قيام حوارات فكرية ثقافية خلاقة لا تنفي الاختلاف، ولا تلغي الرأي الآخر، و تطبيق جوهر العروبة المتضمن قبول التعددية بداخلها، واستدعاء مفهوم الأمة ليصبح عقيدتنا الجديدة، والمنارة التي نهتدي بها في تعاطينا مع قضايانا الوطنية والقومية لذلك بات الأخذ بالحوار منهجاً للتقارب بين التيارات الفكرية والسياسية والمذاهب الإسلامية ضرورة ملحة، وأن نعزز الثقافة التي تكرس الحوار بين أبناء المجتمع، والتوكيد على أسلوب الحوار، والمناظرة في نقد الأفكار، والدعوة إلى التوحيد بأسلوب حر مفتوح.

-تطوير لمناهج التربوية والتعليمية في المراحل المختلفة، والمؤسسات المعنية بالثقافة من خلال التركيز على جملة من الثوابت والقيم وفي مقدمها: حقيقة كون العرب أمة واحدة ذات رسالة حضارية خالدة، عمرها آلاف السنين، وتمسك شبابنا في إبراز الأصول الحضارية العربية، والإيمان أن العروبة ذات امتداد تاريخي وثقافي واسع وكبير قديماً وحديثاً، وهي رسالة حضارية للإنسانية.

- إذكاء الوحدة الوطنية لأنها خطوة على طريق الوحدة الكبرى، والإيمان أن قضايا الشعوب والأمم ليست حكراً على مرحلة معينة ضيقة ضمن الزمان ولا تحسمها عوامل ومستجدات لا حدود لها و التأكيد أن الهوية هي أساس وجود أي مجتمع من المجتمعات.

- إيلاء الجامعات العربية الاهتمام والرعاية، كونها مراكز إشعاع فكري وعلمي وحضاري، بحيث تكون الجامعات مؤسسات لتطوير العلوم والمعرفة والتكنولوجيا.

- مواجهة التطرف، وذلك على مستويين:الأول: هو المستوى التربوي الاجتماعي، إذ لا بد من تكريس الأخلاق، وشرحها بشكل أكبر، لأن جزء من الأزمة التي نعيشها هي أزمة صراع هوية، وهذا يؤدي إلى فراغ عقائدي و فراغ فكري، فراغ نفسي، فيتحول الإنسان إلى الابتعاد عن الأخلاق ويتحول إلى شخص دون مبادئ، تقوده الغريزة، وبالتالي سهولة تحوله إلى التطرف ،والوقوع في فخ المتطرفين، والتخلي عن الانتماء للوطن، والمستوى الثاني: هو المستوى العقائدي، إذ لا بد من إبعاد العقيدة الدينية عن السياسة وذلك بالانتقال من مرحلة التدين التقليدي الذي يهتم فقط بالمحافظة على الشعائر إلى رؤية دعوية إيمانية قرآنية علمية كاملة، ليتقدم خطاب العقل والفكر المستضيء بمصابيح الأفكار النيرة المتصفة بالشجاعة والوطنية والإيمان والوعي.

-العناية بالثقافة الشعبية العامة، وجعل الثقافة خبز الناس وذلك بجعل الثقافة ثقافة مجتمعية تعني بكل شرائح المجتمع، وإحداث مشاريع ثقافية باسم ثقافة الأطفال الصغار وثقافة الشباب، وإطلاق قناة ثقافية عربية تتجاوز الاختلاف السياسي بين الأقطار العربية، وتشجيع الترجمة من اللغة العربية وإليها بما يساهم في تخصيب العقل العربي ويعزز رؤية سبيل الخلاص والتحرر وهذا يتطلب إنشاء صناديق عربية لتمويل الترجمة خاصة والثقافة العربية عامة، وإيجاد مركز موحد للترجمة في الوطن العربي وإيجاد تشريعات عليا لتوحيد جهات الترجمة ومناهجها وأساليبها وإناطة ذلك بمؤسسة واحدة تسمى المؤسسة العربية للترجمة ،وإيجاد تشريعات للثقافة والثورة المعاصرة تحول المعلومات إلى أهم عوامل الإنتاج والثقافة واقتصاد المعلومات والاتصالات والإعلام والتقانة.

-إن من أهم صفات الثقافة التي نحتاجها اليوم هي المقاومة، وبناء ثقافة التحدي، والثقافة المنتجة، ومواجهة الواقع بكل كفاءة واقتدار، والتحلي بثقافة الأمل، العمود الأساسي لثقافة المقاومة، التي تجعل الإنسان يعيش الحاضر وفي عينيه المستقبل، ويؤمن أن الزمن يتوقف على إرادته وعلى عمله، ولا يوجد مستحيل عندما يقرر أنه لا يوجد مستحيل.

- ومن مهام الثقافة التي نريدها أيضاً تعزيز الذاكرة الوطنية للأجيال العربية الشابة، التي باتت المستهدف الأول من خلال غرس مفاهيم الثقافة الاستهلاكية، والعدمية، وتخليع الانتماء الوطني، واستبداله بانتماءات ما دون الوطنية.. وتدمير معالم الذاكرة الوطنية التاريخية لمجتمعنا الغني بتراثه الحضاري-الثقافي.

-كشف وتعرية ما يسمى جمعيات مدنية، ودكاكين حقوق الإنسان، ومؤسسات ثقافية مشبوهة ممولة خارجياً، على أساس الشعار التاريخي» أعطني مالاً أعطيك نضالاً «، «ديمقراطيين جدد»، وهم ممن اخترعتهم القوى الإمبريالية التلمودية، والذين لا يرون في التمويل الأجنبي عيباً، بالرغم أنه عمالة صريحة، ومهانة ،وعار، لا يرتضيه كل من لديه قدر من الكرامة، واحترام النفس..وهذا من فعل وصناعة المخابرات الأميركية والصهيونية التي يدل تاريخها إنها قامت بتشجيع الفكر العدمي المتجرد من القيم الوطنية، وأنفقت ملايين الدولارات من أجل ذلك، وعزل الأدب والفكر عن قضايا المجتمع، وكان ذلك هدفاً استعمارياً دائماً ،باسم حرية التعبير، فالمطلوب هو ثقافة تقدس العقل وتحترمه وترتكز على الفكر النقدي وبذلك تسهم الثقافة في حل الأزمات من جهة وتحصن المجتمع من الوقوع فيها وتسهل حل أي أزمة يتعرض لها المجتمع.

أخفقوا في المدارس .. وأبدعوا في الأدب

دلال ابراهيم

في الوقت الذي يمضي أبناؤنا الطلبة أوقاتهم العصيبة في استرجاع ما خزنوه من معلومات في ذاكرتهم خلال السنة الدراسية ليفرغوه على ورقة الامتحان في آخر العام الدراسي ويتقرر فيما بعد إن كانوا يستحقون شهادة البكالوريا أم لا يستحقونها،

وهي شهادة العبور بهم إلى مرحلة النضج والإنتاج. ويطرحون عليهم أسئلة عن مواضيع حشوا بها رؤوسهم والتي سرعان ما ستغيب في بئر النسيان. سوف نستعرض هنا ومن أجل رفع معنوياتهم أمثلة رائعة لمشاهير أثروا العالم بنتاجاتهم التي لا زالت منارة لأجيال طويلة، كانوا في بعض الأحيان المصدر الرسمي لنصوص مدرسية مطلوب من الطلاب التعليق عليها، علماً أنهم لم يتخرجوا من المدارس التعليمية ولم يبلوا حسناً حين كانوا طلاباً على مقاعد الدراسة.

في البداية نأخذ من تلك النماذج حياة أديبنا الكبير حنا مينة الراحل عنا منذ فترة قريبة. صاحب الياطر والمصابيح الزرق يقول « كانت أعلى شهادة حصلت عليها هي « السرتفيكا « – الابتدائية – وبالكاد كان لدي صندل أنتعله في الشتاء، فيما أمضي شهور الصيف حافياً. ويروي شيخ الرواية السورية: « أن الراحل المفكر عادل العوا، أستاذ الفلسفة في جامعة دمشق، سألني وأنا إلى جانبه في إحدى المناسبات « دكتور حنا، من أي جامعة تخرجت ؟، أجبته بغير قليل من الجدية، من جامعة الفقر الأسود !، قال :، عجيب، أنا لم أسمع بهذه الجامعة!، يذكر في إحدى قصصه (الكتابة على الأكياس) أنه حين اضطر للعمل في الميناء لمساعدة عائلته المعدمة، واكتشف هناك عدم قدرته على رفع الأكياس، نظراً لضعف بنية جسمه، شعر بالأسى، وحين برزت الحاجة لكتابة بيانات بسيطة على الأكياس اختاره المعلم لأنه يتقن الكتابة. وفي أعقاب مرور سنين طويلة، وكان بصحبة صديق يعرف كليهما، قال ذلك الصديق للمعلم: إن حنا مينة كاتب معروف اليوم، أجابه المعلم: نعم، أعرف ذلك. لقد بدأ الكتابة عندي على الأكياس.

بينما اكتفى الشاعر محمد الماغوط في بداية حياته أن يقتصر تعليمه على الدروس التي كان يتلقاها مع أبناء الفلاحين الآخرين في « الكُتّاب « والتي شملت القراءة والكتابة والحساب وحفظ القرآن الكريم. انتقل بعدها للدراسة في المدرسة الزراعية الموجودة في مدينته السلمية. لم يكن يهوى الزراعة والعمل في الأرض، وإنما بسبب ظروف أهله المادية، وتقديم المدرسة الطعام والشراب مجاناً دفعاه إلى الدراسة فيها، حيث تابع دروس البكالويا في الثانوية الزراعية في خرابو بالقرب من دمشق. ومع ذلك لم يكمل دراسته، وخرج من المدرسة وعاد إلى السلمية مسقط رأسه. ليبدأ بعدها اسم الشاعر محمد الماغوط في التوهج.

نبتعد قليلاً باتجاه الهند وهنا بالتأكيد ستكون لنا وقفة مع شاعرها وفيلسوفها طاغور شاعر الانسانية ، حصل على دكتوراه من أرقى الجامعات الأوروبية وحصل على جائزة نوبل ولكنه فشل في الانتظام في المدرسة وتركها في سن الثانية عشر. أبوه اعترف لأحد أصدقائه أنه حين يأخذ ولده إلى المدرسة كأنما يسوقه إلى المذبح. وعوضه عن المدرسة والداه وكانا هما المدرسة التي فجرت مواهبه من مكامنها ، بالإضافة إلى المعلم الوحيد الذي استعان به والده ليعلمه في البيت. حتى عندما فشل في دراسة الحقوق في انكلترة، كان والده إلى جانبه بتشجيعه على استثمار اقامته في لندن التي أتقن لغتها وصار يترجم أعماله بنفسه . فهو يعتبر الطبيعة أكبر مدرسة للمرء.

المخترع العالم توماس أديسون مكث في المدرسة ثلاثة أشهر فقط ليطرد بعدها بحجة أنه طفل ناقص الذكاء. ولكن والدته لم تيأس وبقيت مؤمنة بإمكانيات ولدها، علمته بنفسها وفي سن التاسعة تقريباً كان قد اطلع على أمهات الكتب وشغف بعلوم الطبيعة والكيمياء. وبعدها كرت سبحة اختراعاته التي بلغ عددها ألف اختراع .

بينما شكسبير الذي لم ولن تغيب الشمس عن ابداعاته لأنه تمّ ترجمتها إلى كلّ اللغات ولو أنها غابت عن امبراطورية بلاده. شكك المؤرخون والنقاد في قدرة شكسبير على تأليف كلّ تلك الروائع، وهو الذي ترك المدرسة في سن مبكرة، واعتمد على التعليم في المنزل.

وكان الفيلسوف الدنماركي كيركجور يسمي الجامعات بمصانع المعلبات ويرى أن أفضل المدارس هي التي لا تضم جدرانا كتلك التي خرج منها ارسطو وسقراط وأفلاطون. فيما اينشتاين الذي غيّر العالم بنظريته عن النسبية وهو في الثلاثين من عمره كان مستواه في المدرسة سيئاً للغاية . حتى أن معلمه نصح والده بألا يرهق نفسه في اختيار تخصص لابنه لأنه سيفشل حتماً بغض النظر عن نوع الدراسة. وكان جل ما يتمناه هو أن ينال شهادة تعليمية تمكنه يوماً من الحصول على رغيف الخبز بشرف. ولما برع في الرياضيات وعلوم الطبيعة تعلمهم في البيت وليس في المدرسة.

أما بيتهوفن الذي قدّم أول أعماله الموسيقية وهو في سن الثامنة ، ترك المدرسة صغيرا، لأنه برأي مدرسه قميء ومغلوب على أمره، ويسقط أي شيء من يده وينكسر. ولكن اهتمام والده فيه الذي التفت إلى تعليمه العزف . وقد لعبت المعاناة والألم دوراً في رسم ملامح عبقريته، ولكنّه لم يسمح لها بأن تتدخل في تشكيل وجدان اللحن أو مضمون

وننتقل إلى فرنسا، التي أسهمت في رفد العالم بأسماء مهمة في عالم الأدب والعلوم الأخرى. من المعروف لدى الجميع أن الشاعر أندريه مالرو لم يكن راضياً ومحباً لطفولته. وكان يردد ذلك أينما حل. حتى يمكننا القول :إنه كان يحب ألا يعجب بطفولته. نشأ مالرو في متجر للبقالة، وقد ربته والدته بيرث في وسط حقول البطاطا واللفت، ووجد أن هذا المحيط وهذا العالم من صغار البرجوازية هي الطبقة المحرومة. ولو قيض له الاختيار، لكان فضل أن يولد غنياً.

لم يكن مالرو طالباً سيئاً في المدرسة كما لم يكن ممتازاً. وكان يتردد على بوفيه في شارع توربيغو بغية التحضير للبكالوريا. وكذلك سعى للدخول إلى الكوندورسيه في عام ١٩١٨. إلا أن تلك المدرسة الثانوية المرموقة رفضت استقباله في صفوفها ولا أحد يعرف دوافع رفضها. وبدلاً من التسجيل في ثانوية أخرى فضل الحفاظ على عزلته وكبريائه. ولأن جراحه كانت عميقة قرر هجر مقاعد الدراسة. وفي حين كان يدعي أن لديه طموحات بالرسم، لم يستغل تلك الطموحات ليرسم. في الوقت الذي كان فيه يكتشف عالم الكتب النادرة لدى رينيه-لويس ديون. وبعد مضي ثلاثة أعوام نشر كتابه «أقمار مصنوعة من الورق» قبل أن يغادر إلى منطقة الهند الصينية لنهب معابد الخمير الحمر، ونشر كتاب حظي بالنجاح إلى جانب شن العديد من الحروب، وليصبح وزيراً في نهاية المطاف. وتلك هي إنجازاته.

وكان المؤلف المسرحي غيتري الذي تمّ فصله إحدى عشر مرة من المدارس يشبه المدارس بالسجون ويدعو إلى معاقبة المهندسين الذين يبنون مثل تلك الأهوال. وفي إحدى المرات واحتفالاً بعيد ميلاده نظمت إحدى المدارس حفلاً على شرفه، قال فيه « يحق للطالب الممتاز الذي نال شهرة تكريمه في مدرسة ثانوية واحدة. بينما أنا الذي تراكمت لدي فصول الطرد يمكنني الزعم بالتكريم عشرات المرات».

الكاتب والشاعر جان كوكتو كان لديه فكر متقد ولكن انتحار والده وهو في عمر التاسعة وعيشه وحيداً مع والدته الماجنة أرخت بظلالها عليه. ذهب إلى المدرسة على مضض وكانت نتائجه موضع خجل وفي الكوندورسيه تعرف على بيير دارغيلوس ليعلمه على متعة المعصية ومن ثم يتم طرده من المدرسة ، ولم يثر ذلك قلقه ، لأنه كان يفضل قضاء الليالي يدخن في الدورادو، ووفقاً للحكاية كان يجد ضالته في المتعة، ولا سيما لقاءه مع جين رينيت التي كانت ترتدي تنانير قصيرة مثيرة جعلت منه شخصاً مفتوناً بساقيها. عاش معها أكثر الأيام مجوناً . وحينما أبدى رغبته في العودة، لأن سعادة الجسد لم تكن تعنيه، وصار يسعى للحدّ من أضرار هذه التجربة، إلا أن النتائج لم تعد تُطاق والحال صارت مثيرة للحزن.

وكان لدى الطالب اميل زولا طموح للحصول على البكالوريا، وفي عمر السادسة قرر أن يصبح رجل أدب وبدأ في قراءة الروايات، ولكن وفاة والده المهندس والحالة العائلية المزرية التي خلفها بسبب الديون المرهقة وكان حينها في السابعة من عمره حدت من طموحه. ولمرتين متتاليتين يرسب زولا في امتحانات البكالوريا مرة في الشفهي والثانية في الكتابي ويهجر الدراسة ، ومن ثمن تنقل في أعمال وليصبح بعدها زولا الأديب.

يمتلك الشاعر أبولينير اسماً مركباً وطويلاً نختصره باسم «غيوم أبولينير» وقصة فشله في البكالوريا يكتنفها الغموض. ويتضح لنا بجلاء أن طفولته ومراهقته كانت مضطربة، عاش تحت سلطة نفوذ والدته انجيليكا الغريبة الأطوار والأرستقراطية الماجنة ولاعبة القمار والتي كان لا بدّ لها بسبب ذلك أن تنتقل للعيش في موناكو، وهناك أدرجتها الشرطة في قائمة صنف «نساء ظريفات» واشتهرت في الكازينوهات باسم أولغا. اسم لا زالت تحلم فيه المتجولات في الريفييرا. لم تهمل تربية ولديها اللذين أرسلتهما إلى مدينة كان إلى ثانوية ستانيسلاس ومن ثم إلى ثانوية ماسينا في نيس. وكان الشاب غيوم يقرأ بنهم. وحتى قاموس لا روس، كما اعترف كان في قائمة دراساته المشوقة. وعلى الرغم من ذلك فشل في عام ١٨٩٧ في نيل البكالوريا. فما الذي جرى؟ من المستحيل معرفة السبب.وعلى إثر ذلك هام أبولينير على وجهه، فقد غادر الفندق دون دفع الفاتورة «بناء على نصيحة والدته»، وبعد أن فشل في إيجاد عمل له في المصرف، وافق على العمل في مكتب محام، وحاول أن يصبح صحفياً في انتظار فرصته ومكانته في عالم الأدب. والآن هناك مدرسة باسمه في نيس، وفيها يدرس الطلاب البكالوريا وبعضهم يحصل عليها.

كان يعمل والد الكاتب جان جيونو في صناعة الأحذية بينما كانت والدته تعمل في كوي الملابس. درس جيونو في مدرسة مانوسك، وهي إحدى المؤسسات التعليمية القليلة المجانية في فرنسا. وكان بالمستوى المتوسط. وقيل :إنه كان بوسعه الحصول على البكالوريا. ولكنه أنهى دراستها قبل الشروع فيها. فقد قرر العمل وهو في عمر ١٦ بصفة كاتب لدى مصرف يتردد عليه البرجوازيون من مقاطعة بروفانس. حيث تلقى والده ضربة ولم يعد للأسرة من مورد تعيش منه.

فهل كان ذلك يرضي شعور الكبرياء البروليتاري لديه؟ وفي وقت كان يصر على وصف نفسه بعد ثلاثة سنوات من التخندق معهم قبل أن يصبح أديباً بأنه «عصامي» و«فخور بنفسه». فهو شاعر الشعب. ويتحدث عن طيب خاطر عن شبابه البائس.

وفي عام ١٩٢٩ حين زاره الروائي أندريه جيد في منزله، أصابته الدهشة لما لم يجد لديه أياً من رواياته. فأجابه مؤلف رواية «ملك دون رفاهية» بأنه «فقير جداً لا يملك الثمن ليشتري رواية له والبالغ ثمنها خمسة فرنكات» شيء مثير للأسى ولكنه غير صحيح، لأن جيونو كان يقدّم نفسه بصفة مستخدم بسيط في المصرف وهو في الحقيقة كان بمثابة الزيت في حسابات أعداء مؤسسة مانوسك التعليمية. وكان يسافر لقضاء إجازاته، في الوقت الذي لم يكن في مقدور غيره السفر. كان يشتري الكتب بكثرة، ومنها إصدارات «أوليس» لفيكتور بيرار بقيمة ١٥٠ فرنكاً، وكذلك الأعداد الباهظة الثمن لوالت ويتمان.

وبما أننا عرجنا على ذكر أندريه جيد، من المناسب أن نذكر أنه جرى استبعاده من مدرسة الاليزاس المرموقة إثر ضبطه في مخالفة أخلاقية، وبعدها اتبع دروساً تعليمية متقطعة على يد أساتذة في عدة اختصاصات، وتراكمت لديه سنوات تأخر دراسي. وفي سن العشرين حصل على البكالوريا. فأهله لم ييأسوا البتة.

لا تعترف بالفشل، أبحث عن مكامن قدراتك وهي في متناول يديك، فقط أزح تلك الغشاوة عن عينيك وثق بنفسك وستعثر عما يميزك ويجعل منك الإنسان المبدع.

وتر الكلام

فرامل دائمة...!

سعاد زاهر

على غير العادة.. تمنت ألا تعود...

وحين فعلتها بدت دروب العودة، أضيق وأطول من المعتاد..وذكرتها بما مضى من الأيام...

كانت مجرد رحلة اعتيادية إلى البحر، مجرد حالة ملل، أرادت الخروج منها، حين استقرت قرب البحر، لم تشعر بتلك الرغبة التي كانت سابقاً تدفعها للجلوس طويلاً والتأمل والذهاب مع أفكارها بين الماضي والحاضر إلى أن تنتهي ببكاء رهيب...

بل إنها ندمت على تلك الأوقات التي فكرت فيها يوماً بالرجوع ولو للحظات إلى الماضي..

أي تغيير...؟

كيف باتت متعلقة بلحظات الحاضر، لا ترى سواها، رغم الغيوم التي توحي بهطل مطر موحل..مجرد ثوان تغادرها كل تلك الأفكار، وتحل بديلاً عنها بدائل لا حصر لها..

يا لروعة الأحاسيس حين تستوطننا وتعيننا على الرؤية بعينين جديدتين، وتبدأ معها الصورة الذهنية النمطية بالتلاشي، حينها يصبح لكل لحظة فرادتها الخاصة، ستتغير الأحاسيس الخانقة التي شعرنا بها يوماً في هذه الأمكنة، سيصبح للبحر... زيارات بمذاق خاص، سنستغرب بعدها كيف تشبثنا يوما بتعاسة اعتقدنا أن لا مهرب منها.

حين تهمش خيالات مضت، وترافقنا أحاسيس اختيرت بعناية ستتغير طريقة تعاطينا مع الظروف مهما كانت قاسية، سنمتصها، كأننا ممسكين بفرامل كلما شعرنا باقتراب غيمة سوداء أو حتى رمادية... نضغط عليه، لن يتوقف مؤقتاً بل مع استمرار التأثيرات الإيجابية ستغادرنا تلك الطاقة السلبية التي لطالما استسلمنا لها..

والسبب...؟

على ما يبدو حين نتقن صنع عالما داخلياً يتوازى مع إرادة صلبة لتحقيق ما نريد من الأهداف، يبقى الكثير لنعيشه ونفعله، ببصيرة جديدة فيها لكل لحظة معنى وألف مغزى..وطرق تودي بنا نحو مساحات حياتية أوسع مما اعتقدنا يوماً...

ومع زياراتك حتى للأماكن الاعتيادية والوجود المألوف.. والبحر الذي عشقته دوماً وبقيت على الشط خوفاً من الغرق...اليوم ستختلف خياراتك وستسبح بعيداً غير آبه بمصائر ومخاوف قد لا تعيشها إلا في خيالاتك...!

تحوّلات الكائن الأدبيّ

غسان كامل ونوس

فيما كنت أقرأ ثلاثيّة نجيب محفوظ، كانت تتلبّس صفاتُ «سي السيّد أحمد عبد الجوّاد»، وممارساته، ابنَ قريتنا وشهريارَها غير المتوّج؛ في انتظار انتهاء الليالي المِلاح، المحدّدة بالعمر القصير، الذي لا ينتظرالضحايا، لإكمال حكاياتهنّ، والسكوت عن الكلام غير المباح، عن «دون جوانات» أُخر، ولا يكفي السهارى محاربي الأشباح؛ في أمسيات مسكونة بكائنات خرافيّة، وعامرة بالحكايات السارية، التي تمحوها الصباحات المشغولة ما بين الصخور والزروع المتنامية، في استقطاب شاقّ للقمة العزيزة؛ وتذروها الشمس القائظة، تُنعس المتلملمين تحت الأشجار الظليلة؛ سوى نساء التنّور، وأحاديثهن المهموسة قبل الخصومات، التي تنشر الغسيل المتّسخ، فيصعب تنظيفه؛ لشحّ ماء القطّارة في العيون الموغلة بين الصخور، في السفوح المتنابذة، المتجابذة، التي تستدرجكم؛ شبابَ الفرص الضائعة، للقيام بتمثّلاتكم الزورباويّة؛ للفت أنظارهنّ؛ حاملاتِ الجرار، المترامیات على تلك الثغور الأرضيّة الرطبة؛ بثغورهنّ المتّشحة بابتسامات وشيكة؛ كرفرفة الدوريّ على السنديانات المعمّرة، أو كتوارد العصافير القلقة على الأشجار المكمونة بالدبق والأفخاخ، أو القصبات المصوّبة المصوّتة؛ ويا لها من طرائد وصيدات!.

تستطيع خيالاتكم المضطربة، أن ترسم تفاصيل المشاهد المتوتّرة؛ كتراقص الآل المتربّص في الجهات، التي لا تمضي إلى مستقرّ للعيون الشاردة، أو كشرارات البرق الناريّة في سماء، يزيدها الغيم المربدّ اشتعالاً واختراقاً؛ تمهيداً لقصف، لا يتأخّر إلّا ثواني من الترقّب القابض على قلب، يكاد يتوقّف فيه النبض، لا تسعفه كلمات تتلعثم، على لسانك، أو تتردّد بتقوى تتقاوى على لسان أبيك، وابتهالات أمّك، تدعو لكم بالسلامة والأمان، وليتهما يحلّان! لعلّه الطوفان، أو الفيضان، الذي عُنونت به إحدى «روايات الجيب» الأثيرة؛ ولم تكد الحصبة، تنهي فصولها المحزنة، حتّى صحبها ملك الموت، إلى القرية والقرى التالية، في انتظار «الكوليرا»، القاضية على أرواح أخرى، مذكّرة أو متَذَكّرة بـ«طاعون كامو» الفظيع.. كلّ شيء أشبه بمصارعة «طواحين الهواء»، لا من أجل الخلود الجلجاميشي المستحيل؛ بل في السبيل إلى الوجود البرّي المتعدّد المواجهات القارسة، والمسالك الشائكة، أو البحريّ المضطرب؛ لولا أنّ مراكب الخلاص المتوهّمة عالقة في السفوح الشجريّة، والجروف الصخريّة، أو قامت ذات فاقة، بنقل المهاجرين إلى مفازات شجن «الدلعونا»؛ و«البحر الذي يسكّر ما بينهم وبين العاشقات المنتظرات «غودو»»؛ ولولا أنّ مركب الصيد المؤمّل، الذي أبحر باكراً، لم يعد يُرى، ولم يعد راكبه، يرى، أو يُرى؛ فالبحر بعيد نسبيّاً عن قريتنا، وليس من عاداتنا سوى الارتماء في البحيرات الصغيرة؛ حيث ترتاح السيول الشتويّة دوّاراتٍ، قبل أن تجدّ في الانحدار، ولا تتّسع إلّا لأجسادنا، وزوارق من ورق! ربّما كان هذا ما أتعبني أكثر، وأنا؛ غيرَ الملمّ بسباحة الأعماق والأبعاد؛ وشراعاتي فتيّة، طامحة، مغامرة؛ أصارع الموج والعاصفة كشراع «طروسيّ مينة»، وأغالب أسماك القرش مع «شيخ همنغواي»، وأعاند الريح والضياع، و«الجبل الراكض صوب البحر»، لـ «إيتماتوف»! وليست أقلّ معاناة، تلك المشاعر من الحبّ المجنون في «الموت حبّاً»

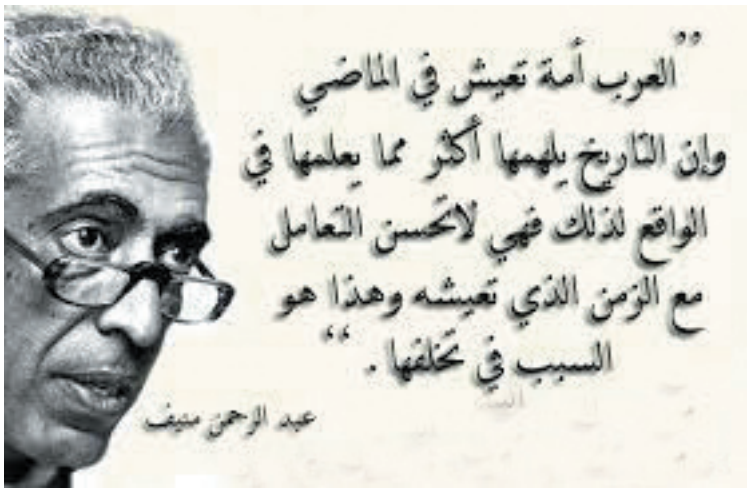

لـ«بيار دوشين»، للفتى الثانويّ، المتيّم بمعلّمته؛ مسترجعاً تلك اللحظات المهدهدة المكتومة في السرير المنهك تحت وقعنا، في ذلك البيت المنفرد، تحت مكابس الظلام القابض، والوحشة المهيمنة، والطقس الشتويّ الكئيب، بداية العطلة الانتصافيّة، للصفّ السادس، حيث سأفارق المعلّمة المتأنّقة، خمسة عشر يوماً بتمامها!.

كانت للبطولة الفرديّة سطوتها في السِّيَر والأساطير والنصوص الطويلة، وكان وجودها الواقعي الممكن، أو الموهوم، أو المتخيّل، مسوّغاً لتسيّدها النصّيّ؛ وكان لحضورها الطاغي في عالم الصفحات، انعكاسه الحياتيّ، وتمثّله الإنسانيّ؛ بأشهر خصائصها، وأعمّ خصالها، التي راحت مذهب الأمثال والأحكام والتقييمات، والتفاخر بألقابها، وبمعرفتها، التي تنمّ عن اطّلاع وثقافة!.

واختلف الأمر في ما بعد، مع ظهور الأحزاب والتنظيمات والنفط، ولم تعد البطولة الفرديّة معتمدة في النصوص؛ بل صارت التحوّلات بطولات ومطوّلات؛ ثمّ راحت الكتابات تُوزّع أدوار البطولة، وتُعدّد المسؤوليّات، وتُداخل الأجناس الأدبيّة، وتُسهّل التحرّكات، وأضحت الصفات والأفكار والمبادئ تتحدّث، وبات الكلام مهتمّاً بالتبعات والتردّدات والأصداء، وبالضحايا من الشرائح المختلفة؛ تساعد على ذلك، الصور الحيّة والمخزّنة، والأخبار المصوّرة، وحشد الاستثارة، والاستعطاف، والمعاناة، والتوجّهات، والاصطفافات، والإعلانات، والدعايات المدوّنة، أو الملغّزة داخل النصّ، وصار البطل سجيناً سياسيّاً أو متمرّداً فرداً وجماعة، وجرى الترويج للبطل الإيجابيّ جليّ الانتماء، ومن ثمّ لـ «الكائن الذي لا يُحتمل»، المشتّت، أو الموزّع على أكثر من صعيد وإطار وتيّار، وجرى تشييئ القيم، وتدجين النسور، والنمور، والجموع؛ وصولاً إلى هيمنة العصر ومصطلحاته، والقول ومفرداته، والصورة، وتفصيلاتها، وأحسب أنّنا فقدنا الحماسة لأمثال تلكم الأبطال، المنفضّين عن حالاتهم، وربّما عائلاتهم وأوطانهم، وبهتت التمثّلات والتجسّدات لهم، وصار من الممكن أن تكون السيادة في النصّ لمكان وجزئيّاته أو لزمان ودقائقه وثوانيه، أو لفئة أو شريحة، أو طبقة أو جماعة.. وهذا يتماشى مع ما جرى في المجتمعات من تغيّرات، وعلى شخصيّة الفرد، من تنازع، وعلى مجموع الناس من انقسامات، وتشوّهات في العلاقات، وغموض في الرغبات والتفكير، وضعف في التركيز، وتفاوت في التأثير.. وتحوّلت طبيعة الصراع الوجودي، وآليّات التفكير، والتقييم، والتعبير؛ فلا مباشرة، ولا شعارات، ولا استلهام، ولا انتماء؛ إلّا في حدود عقائديّة، ضيّقة، ومهيمنة، وغير قابلة للحوار، والسلاسة، والأخذ والردّ.. فالأسرة تفرّقت، والرعيّة صاروا رعايا، وقرّاء الورق، صاروا متصفّحي شاشات، تصاغرت وتلوّنت، والتفاعل منوّع، والانفعال مغاير وموزّع، والمواجهة مختلفة، والأدوات أيضاً.. حتّى الغايات لم تعد مفهومة، والعلاقات مؤقّتة، راهنة، ملغّمة، والانفتاح الذي كان تهمة، صار مؤشّراً صحّيّاً ومطلوباً، والخروج عن الجماعة، الذي كان خروجاً على الطاعة، صار مدفوعاً، ومرغوباً، لصالح جماعة أخرى، أو عقيدة أخرى، ومصالح وغايات غير بريئة، وما كان – ومن كان- محصّناً، لم يعد كذلك، واختراقه يأتي حتّى من داخله، والاستهداف مخاتل، والضحايا لا تعدّ.

لقد تحوّل الانتماء الجماعيّ إلى راية وقول وزعيم، ثمّ إلى جماعة وحزب وإيديولوجيا وتيّار، إلى تناثر في التبعيّات؛ فمنها المتشدّد، ومنها المتمرّد، ومنها الداعي بهدوء أو المتوعّد بقسوة؛ ومنها المأجور، أو المتطوّع من أجل عقيدة؛ لم يعد جماعيّاً؛ بل فرديّاً، ينسجم مع توصيفات الحداثة وما بعد الحداثة، وتناقضاتها وتشرذمها.

البطل الآن شخص من مجموعة، أو شريحة، لا يهمّ طوله وعرضه، ولون عينيه وشعره، ولباسه، ولا ماذا يأكل، ويشرب، وأين يسكن؟ في قصر، أو كوخ، في غابة، أو في حيّ شعبيّ مخالف ومحروم، وقد تتعدّد محظيّاته، وتتلوّن جوّالاته؛ كما مساراته، بعد تجربة أو أكثر.

وتحوّل القصف السماويّ السحابيّ الشتويّ، إلى انفجارات حربيّة أو منفردة في مختلف الفصول، التي تداخلت، وتعكّرت، وعرّت الناس من سقوف تظلّها، ومن أشجار تداريها، ومن أردية تستمهل الوخز الصقيعيّ، فما عاد للعائد محميّات، ولا للفتك والهتك روادع؛ على الرغم من الصراخ الإنسانيّ المطالب بالحماية المشرّعة، والمقاومة المشروعة، والدروع الحقوقيّة، التي تحتشد بالبنود و«الحدود»؛ فتغرزها في الأجساد الطريّة، وغير الطريّة، قبل أن تُلِفّ الشاش الأبيض، على الأشلاء التي اسودّت سوائلها، وقد كانت محمرّة، فتتحوّل إلى أكفان مهيّأة مسبقاً، لحفظ ما تبقّى من أنفس، وحملها إلى ذويها؛ للإسراع في دفنها؛ إكراماً! ولو بعد حين يطول؛ كي تُستخرج من مطمورات جماعيّة، في جنازات مؤجّلة مشهودة، تستعيد طقوس الحزن والفراق، وتستعيد بالزمن وكثرة الباكين على التأسّي! ويا لها من بطولات حقيقيّة مكتومة، وخلّبيّة موصوفة، وإنسانيّة معمّمة عن ظهر خبث!

وأين من يسجّل الوقائع، ممّن يشهدون الوقيعة؟! وأيّ خيال أدبيّ، يستطيع أن يجود بمثل ما كان حقيقيّاً، ويكون لحماً ودماً ومواجع، وما هو أغرب؟! وليتنا نستطيع أن قول «للسلاح وداعاً» من أيّ نوع كان؛ حين يُقلع الشرّ عن تربّصه واعتداءاته؛ ولن يقلع! وأن يستطيع الخير أن يسود، على هذه الكرة الدوّارة من على قرن ثور، أو كفّ عفريت!.

الحكمة من دوح الشعر

سهيلة إسماعيل

ثمة أبيات شعرية كثيرة وجميلة أصبحت أقوالاً مأثورة، يتداولها الناس ويرددونها في أحاديثهم، مع أن الغالبية منهم لا يعرفون مَن قالها ولا مناسبة قولها، وهي - بالتأكيد - تختلف عن الأمثال المعروفة، ولو سألنا مستخدمي عن أسماء قائليها من الشعراء لما عرفوا؛ وهذا لا يفقدها جماليتها ومدلولها أو غايتها، وهي من الشعر في مختلف مراحله «الجاهلي والعباسي وما قبل الإسلام».

وهنا نذكر أشعار المتنبي الملقب بمالئ الدنيا وشاغل الناس، فأشعاره مملوءة بأقوال صارت مع الزمن أمثالاً متداولة، فمن منا لم يستخدم عبارة «أنت الخصم والحكم» وهي مجتزأة من بيت شعري ضمن القصيدة الموجهة لسيف الدولة:

يا أعدل الناس إلا في معاملتي فيك الخصام وأنت الخصم والحكم

وكم سمعنا البيت الشعري الجميل للمتنبي أيضاً:

على قدر أهل العزم تأتي العزائمُ وتأتي على قدر الكريم المكارمُ

وإذا أرنا حثّ شخص للوصول إلى مبتغاه رددنا قوله:

إذا غامرت في شرف مروم فلا تفنع بما دون النجوم

وهو القائل أيضاً:

ما كلُ ما يتمنى المرء يدركه

تجري الرياح بما لا تشتهي السفنُ

وجرى بيت الشعر للشاعر أحمد شوقي على لسان الناطقين بالضاد وأصبح شاهداً للدلالة على قيمة المعلم:

قمْ للمعلم وفِّه التبجيلا كاد المعلم أن يكون رسولا

ولحثّ طلاّب المدارس والجامعة على الاجتهاد نردد عبارة «من طلبَ العلا سهر الليالي» وهي الشطر الثاني من بيت للشاعر الإمام الشافعي:

بقدر الكدّ تُكتسب المعالي ومن طلبَ العلا سهرَ الليالي

ولا نَنسى عبارة من سرّه زمن ساءته أزمان وهو شطر من بيت شعري ضمن قصيدة الشاعر «أبو البقاء الرندي» قالها في رثاء الأندلس:

هي الأمور كما شاهدتها دولٌ من سرّه زمنٌ ساءته أزمانُ

أما قصيد الشاعر أبو القاسم الشابي فأصبحت دليلا لقوة الإرادة والحياة:

ومن يتهيب صعود الجبال يعشْ أبد الدهر بين الحفر

وهناك أبيات شعرية أصبحت أغاني معروفة ما زاد في شهرتها واستخدامها. كقصيدة الخليفة العباسي المستنجد بالله التي غناها المطرب العراقي ناظم الغزالي:

عيّرتني بالشيب وهو وقار ليتها عيّرت بما هو عارُ

إن شابت الذوائبُ مني فالليالي تزينها الأقمارُ

ولا ننسى عبارة «كن جميلاً ترَ الوجود جميلُ» التي تحثُّ على التفاؤل والثقة بالنفس وهي من بيت شعر للشاعر إيليا أبو ماضي:

أيُها المشتكي وما بك داءٌ

كن جميلاً ترَ الوجودَ جميلا

أما إذا أردنا التعبير عن تعدد أسباب الموت فنقول تعددت الأسباب والموت واحد، وهي جزء من بيت شعري للشاعر ابن نباتة السعدي:

ومن لم يمتْ بالسيف مات بغيره

تعددتِ الأسبابُ والموتُ واحدُ

بينما نردد عبارة «ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل» وهي من بيت شعر للطغرائي يقول فيه:

أعللُ النفس بالآمال أرقبها

ما أضيق العيش لولا فسحة الأملِ

وللتعبير عن غياب صفة الخجل والحياء عند البعض نردد «إذا لم تستحي افعل ما تشاء» وهي من بيت شعرب لأبي تمام:

إذا لم تخشَ عاقبة الليالي ولم تستحي فافعل ما تشاء

تطول القائمة لنكتشف وجود آلاف الأبيات الشعرية الخالدة على مر الزمن، ليس لأنها أصبحت أمثالاً فقط بل لجمال معانيها وجزالة ألفاظها.

زاوية حادة..

الكتاب الشعبي

غسان شمه

الكتاب الشعبي، أو الكتاب للجميع، مشروع ثقافي مهم شهدنا خلال سنوات مضت نماذج متعددة منه، وقد قدم للقراء مجموعة كبيرة من الأعمال الروائية والفكرية والأدبية استطاعت أن تخلق صلة مع القارئ تقوم على تقدير وتقديم المنتج الإبداعي بأقل تكلفة ممكنة بغية الوصول لأوسع شريحة من الناس خاصة أصحاب الدخل المحدود، وتغدو ضرورته اليوم أكثر مما مضى بسبب التكلفة الباهظة للكتاب في ظل غلاء الورق وارتفاع تكاليف إنتاجه ونشره وتوزيعه...

في سياق ندوة «شآم والقلم» التي أقيمت الأسبوع الماضي تحدث رئيس اتحاد الكتاب العرب د. محمد الحوراني عن تجربة مميزة بتسويق ما انتجه الاتحاد، خلال مسيرة طويلة، للقارئ بأسعار بسيطة حيث بيعت مئات آلاف النسخ من الكتاب في العديد من المعارض التي أقامها الاتحاد بدلاً من بقائها في المستودعات معرضة للتلف..

فيما لفت رئيس اتحاد الناشرين هيثم الحافظ إلى أن تكاليف نشر الكتاب مرتفعة جداً لكنه أكد على استعداد دور النشر لتقديم كل ما يمكن من أجل القيام بهذا المشروع الثقافي.. وكان الزميل ديب علي حسن قد أرسل مداخلة مكتوبة استعرض فيها بشكل واقعي حال الكتاب والقراءة اليوم.

بالطبع مشروع كبير كهذا يحتاج لجهود العديد من المؤسسات الثقافية والفكرية، والإيمان بدور الكتاب في حياة الأفراد والمجتمع باعتباره زاداً إنسانياً ومعرفياً وسلوكياً بالإضافة للجانب الأدبي والثقافي الذي تعول عليه المجتمعات في بناء الإنسان..

ولا بد من الإشارة إلى أن القراءة كفعل هي ثقافة مجتمعية بالدرجة الأولى، ومحطتها الأولى، بشكل فعلي وعملي، هي الأسرة باعتبارها اللبنة الأولى في بناء الفرد والإنسان..

مشروع كبير وطموح نتمنى أن يشهد النور قريباً خاصة وأن أولى ثماره ظهرت مباشرة بالاتفاق على نشر عملين روائيين لغادة السمان ووليد إخلاصي.

ذاكرة

في الثقافة والحراك الثقافي

لن ندفن رؤوسنا في الرمال ولن نصمت أمام الواقع المر الذي تعيشه ثقافتنا واقعاً وآفاقاً ، إبداعاً وانتشاراً لن نبعد عن الحقيقة إذا قلنا :إننا أمام إخفاق ثقافي ومعرفي رهيب على الرغم من كلّ مانراه من مظاهر تدل على أننا في حراك ثقافي لكنّه في واقع الحال وهم وسراب،

حراك خلبي لم يثمر، لم يعط أبداً أي نتاج على أرض الواقع.

ربما يسأل أحدهم لماذا أذهب إلى هذا الادعاء ولأفترض أنه ادعاء لئلا أكون كغيري مقرراً وانتهى الأمر.. فما من أحد يملك ادعاء نهائياً في هذا الإطار أوغيره لكني أعلن رأياً من أجل نقاش مايحرك الواقع الراكد ولعله يصل في تقاطعات مع الآراء الأخرى إلى سبل ماتساهم في إشعال حراك ثقافي

وأعود إلى القول الادعاء أن ثقافتنا كانت وهماً أو هي في الواقع بعيدة عنا ، بيننا وبينها جدران نحن مثقفو بروظة ، مثقفو واجهات نسوق أنفسنا من باب الرياء والنفاق ، وإلا ما الذي جعل واقع مجتمعاتنا العربية تظهر عارية من كلّ شيء ما الذي يجعل أفغانياً يعيش في كهوف توروبورا يأتي مدننا ليقودنا إلى الحرية كمايدعي.. ما الذي يجعل راعي إبل في صحراء الربع الخالي يضحي لذبحنا ويطيعه الرعاع وكأنه رسول مرسل..؟

ماالذي يجعل حملة دكتوراه في العلوم النظرية وحتى علم الاجتماع يحملون الطناجر ليلاً واستجابة لنداء مأفون..؟

كيف كنا نعيش هل هو النفاق وقد ذاب كلّ شيء..؟ أكنا مرضى نفسيين ومازلنا وهذه تحولاتنا..؟

الثقافة والمثقف والمجتمع المشغول بالحراك الثقافي ليست هذه صفاته ولاتحولاته وحتى ليست هذه قاذوراته...

الأمر ليس في مجتمعنا السوري بل في المجتمعات العربية كلها لا يمكن أن تقول وبطمأنينة أن ثمة وعياً ناجحاً يبدد في الأفق عند هذا المجتمع أو ذاك فما السبب..؟ أليس تصور الحراك الثقافي والانتاج المعرفي وراء ذلك..؟

لماذا سوقنا السيىء واحتفينا به واحتربنا به ومن أجله وتركنا الأصيل والحقيقي ..؟

لماذا تسود ثقافة الكراهية وأحقادها وتغيب فيروز ونزار قباني ، ولوحات فاتح المدرس وصوفية ابن عربي..

لماذا تفوح رائحة مجاري الصرف الصحي في الأزقة ويغيب عطر الياسمين ونداه..؟

لماذا غابت سيارين الزبداني وبلودان وسهرات قاسيون والغوطة ورحلات البحر ،ليحل محلها رحلات الرعب والخطف والقتل والموت..؟

أليست أسئلة جديرة بالطرح...؟ ولكن من يقدم الاجابات أجد نفسي في ادعاء أحادي أن ثمة سبباً رئيسياً يقف وراء ذلك وهو من أسباب كثيرة ..إنه الإخفاق الثقافي والمعرفي إنه انكسار النخب المدعية المعرفة والتنوير.. إنها شهادة الإدانة لكلّ من عمل ويعمل بالثقافة ويدعي أنه مثقف أو أنه من منتجي الثقافة.

لوكنا نملك ثقافة حقيقية أو نبدع ثقافة رائعة وراقية ، أو قادرين على نشرها وضع حراك ثقافي هل كان ماكان..؟

حقيقة إننا أمام إخفاق لنا أن نبحث في بعض خطوطه العريضة..

المؤسسات والدور

لأحد يدعي أن الثقافة تنتج في المؤسسات الرسمية ولكن مامن دولة في العالم إلاولديها مؤسسات تعنى بهذا الشأن ترعاه تأخذ بيده تمده بأسباب الحياة والقوة تضع الاستراتيجيات والخطط وترعى المبدعين والمثقفين داخل البلد وخارجه.

في سورية لدينا وزارة ثقافة واتحاد الكتاب العرب بدمشق ولوبدأنا من وزارة الثقافة لوقفنا عند بنية تحتية متكاملة ربما لانجد مثيلاً لها في العالم... ٤٠٠ مركز ثقافي متوزعة على خارطة سورية مكتبات مركزية ، صروح ثقافية متميزة (دار الأسد- المعهد العالي للموسيقا - مكتبة الأسد) إلى مافي القائمة.

هيئة عامة للكتاب تتولى طباعة ونشر الكتاب قد قدمت للقارئ العربي خلال رحلتها مذ كانت مديرية التأليف آلاف العناوين واستطاعت أن تحقق حضوراً محلياً وعربياً وماتقدمه من عناوين هامة تلبي حاجة القارئ العربي أينما وجد وهذه الشهادة ليست من باب المديح المجاني ...ولكن هل هذا يكفي ..؟

الحق يقال وهذا رأي شخصي أشعر كمتابع ولاأدعي أني مثقف أشعر بغياب تام لدور وزارة الثقافة منذ عقود ،ربما وهذا ظن وبعض الظن سوء أن الوزير والسادة المكلفين بأمور الإدارات وغيرها ذلك يظنون أن الثقافة والمبدعين في خدمتهم وليس العكس.. لم أر أوأسمع أن وزيراً ممن تولى هذه الوزارة استطاع أن يعقد مؤتمراً للثقافة والمثقفين أو أن يضع استراتيجية للعمل الثقافي أوأن يمد جسور التواصل مع مبدعي الوطن....

لابل إن بعضهم ولى صبيانه ليديروا مقدرات الوزارة ووصل الأمر ببعضهم «الصبيان» أن صار يكتب افتتاحية مطبوعة يشرف عليها بخط يده وكأنه المعري أو المتنبي أو ..حين أشرنا إلى ذلك كان محمياً ..

وزراء يظنون أن استقدام الاتحاديين لإدارة بعض المؤسسات الثقافية يعني النجاح مع أن بعضهم لأنه أخفق إخفاقاً ذريعاً غير متفرغ لعمله ورجل هنا وأخرى في الجامعة..

هل نذهب أبعد من ذلك والقول : إن استقدام الأصدقاء لايعني أنهم فريق عمل ناجح أ بداً ... وتدوير فلان من موقع لآخر أيضاً لايعني أيضاً أنه سينجح في مكان آخر..

إمكانات قد تكون محدودة لكنها موجودة لاتفعّل ومسؤولون إداريون في موقع القرار نسمع بهم حين يعينون وحين يصرفون ومابين التعيين والاعفاء خيبات أمل.. أماعن التواصل مع الإعلام فليس ثمة داع لأن من يظن أن المكان أسند إليه مكافأة وأن الثقافة والمبدعين يجب أن يسبّحوا بحمده لايعنيه الإعلام بشيء إلا ان يدور في فلكه ويمجد إبداعاته ويصنع منه بطلاً ولو من ورق..

وقس على هذا الأساس التواصل مع الخارج ، مراكزنا الثقافية في الخارج ماذا تعمل ماذا تقدم..؟ ماذا تسوق؟

ولنا أن نسأل أين الاحتفاء بمبدعينا ..أين الندوات.. أين المهرجانات ...رحم الله وزارة الثقافة يوم كانت وزارة .. هل تبعث من تحت الرماد مازلنا ننتظر ...لعل ...

اتحاد المبدعين

اتحاد الكتاب العرب شأنه شأن وزارة الثقافة بالقدرة على التواصل داخل القطر وخارجه وعلى عاتقه مسؤوليات جسام ولاأكيل المديح هنا إذا قلت :إنه كان أكثر فاعلية من وزارة الثقافة فيما تمر به سورية مع الإشارة إلى أن بعض المتسلقين الذين احتلوا مكانة في مقاعد مسؤولياته لم يكونوا في يوم من الأيام بمبدعين لامن قريب أو بعيد وإذا ماأردنا أن نتحدث عن أعضائه فلنا أن نصمت الآن...

مع الإشارة إلى أن نشاطهم يزداد قبيل الانتخابات يتواصلون ويتحدثون ويحيكون مؤامرات ويقولون سننفعل ...وكلّ شيء بعد الانتهاء من الانتخابات يعود إلى ماكان وعلى هذا يمكن القول :إن حاله ليس بأحسن كثيراً من حال وزارة الثقافة وإن كان تواصلاً وتفاعلاً ولكن ذلك يبقى دون الدور وأقل من الطموح ويجب أن يشكر على أنه حافظ على مطبوعاته ودورياته ولم يضغط نفقاتها كما فعلت وزارة الثقافة .

أقلام مأجورة

في تسويق الرديء ثمة أقلام نجدها في المنابر الثقافية كافة صفحاتنا مجلاتنا ودورياتنا تعمل هذه الأقلام تحت الطلب وبالتوصية لن نبرئ أنفسنا أبداً فثمة مجموعات شعرية رديئة لاتساوي الحبر الذي كتبت به تقدم في صفحاتنا على أنها إبداع مابعده إبداع ، لالشيء إلا لأن صاحبه صديق أو لأنه مسؤول في مكان بمعنى آخر نقد تبادلي نفعي ، جرد هذا المبدع الوعي من مكانه فلن تجد من يأبه له ولوبكلمة والأمر كذلك ينطبق حتى على الشاشة الفضية، فقد غاب المشهد الثقافي وغابت الحوارات الثقافية وحل الرديء محل الأصيل..

فمن أين سيكون الحراك الثقافي ومن أين للأصيل المبدع أن يصل ؟ جامعاتنا ومدارسنا تخرج تلامذة وطلاباً قادرين على الحفظ الصم وعند أول امتحان ثقافي ومعرفي هم خارج السياق تدجين قاتل... وهنا يكمن السر..

ولاتسألوا عن قاعات إبداعية مثل : نزار قباني وبدوي الجبل ، وحنا مينة وسليمان العيسي وغادة السمان وكوليت خوري..

ولاتسألوا عن ثقافتنا في الخارج لأننا معنيون بالمكاسب لا يهمنا إلا كم جمعنا من دولارات وكيف...

ثقافتنا ليست بخير ، مبدعونا ليسوا بخير لذلك وطننا ليس بخير والمسؤولية تقع على عاتق الجميع مجتمعاً ومؤسسات، كلنا مسؤول ومهتم مقصر ...ولكن هل من يحرك ساكناً دائماً أسأل ويبدو أن السؤال سيبقى أبد الآبدين ...

تداعيات الثقافة بين خيانة الرأي وتخاذل النقد

محمد خالد الخضر

لا يمكن لأحد أن ينكر حضور الثقافة القوي على صعيد المؤسسات بأشكالها وأنواعها، ولا يمكن أن نقتنع أبداً بأن الحداثة هي إلغاء الماضي وإنكار الجذور وتعويم ما ليس له فائدة بحجة التطوير والتحديث .. فالتطوير هو تقوية أسس البناء لا تهديمها، ولا يمكن أن ننكر أبداً أن ما نتعرض إليه من مؤامرات متنوعة منذ أن دخل غرباء إلى بعض الأراضي العربية بحجج مختلفة، أولها الانتداب ثم الاحتلال ثم الاغتصاب، وبعد ما تعرض له الغرباء من خسائر.. وجدوا أن السيطرة على العقول والعواطف والأحاسيس هي أهم بكثير من أي قوة يمكن أن تستخدم. فليس من الضروري أن نتكلم الآن عما حصل وحدث قبل سنوات الحرب لأن الاستهتار من المثقف أخذ به إلى الضياع.. فبعد أن كانت أي حالة ثقافية في أي مؤسسة تأتي بشعرات المثقفين.. أصبح عدد الحضور لا يصل إلى عشرة.. فيمكن ما وصلنا إليه أن يكون بعضه مقصوداً وبعضه بسبب عدم المعرفة والجهل وبعضه بسبب تخاذل النفس وعصيان صاحبها.. فبعد أن كان يحسب ألف حساب من يعتلي المنبر ويصل إليه، أصبح الآن أي متهور في الكتابة يتمكن من استحضار أي دعي فهو يسميه ناقداً والآخر يعطيه صفة أدبية كشاعر أو قاص، وأصبحت الأجناس الأدبية على اختلاف أشكالها تنال التسميات التي لا يمكن أن تكون إلا في الخيال.. عندما تسمع الناقد يقول لك لا وقت عندي لقراءة كتاب فمشاغلي كثيرة، وتجده يتهور أمام أي بسمة أو ضحكة فيسهر الليل باحثاً عن عبارات تناسب الجمال الشكلي والشعر الممتد إلى المنتصف والعينين السوداوين أو الضائعتين بعدستين أو غير ذلك. لا يوجد حسابات إلى غد.. فاليوم هدف غريزي يمكن أن تجد الناقد متهوراً في أي وقت ويمكن أن يغير بعض (نمطياته اذا كان الذي يتناول الحديث عنه ذكرا.. أما إذا كانت أنثى فلا يمكن أن يجد إلا الميتافيزيقيا والفانتازيا والميثولوجيا والواو) وهذا تكون صفحات التواصل الاجتماعي قد تزينت بحدث جديد أو أحداث جديدة وبتميز شكلي آخر، وهذا الأمر أخشى أن يتعمم بعد سنوات ليست طويلة. والأشد خطورة أن هناك بعض من يسمون أنفسهم بالنقاد أو من يسميهم متخاذلين يطلقون حكم الإعدام على الماضي فيقول لك واحد منهم مثلاً: لابد من إلغاء شعر الشطرين أو الموزون بشكل كامل لأن هذا النمط الشعري لا يمكن أن يستوعب الحداثة والتطور والحاضر. هيا نقول لصاحبنا: أي حداثة تلك التي لا تستطيع أن تقنع جمهوراً على عدد أصابع اليد.. وأي تطور ذلك الذي لا يمتلك أسرار القوة الثقافية التي تجعل الآخر يراه سهلاً ممتنعاً، ويحمل على الأقل بعض انعكاسات واقعه الذي دائماً يطلب التحريض على مواجهة المتآمر. وما ذهبنا إليه لا يعني بالمطلق أننا نلغي الحديث شرط أن يملك هذا الحديث ما يمكنه من حماية نفسه ومن القدرة على التعامل مع كل من يحتاج إليه.. فالحديث الذي يسمى أدباً يجب أن يكون على علاقة وطيدة مع المجتمع بكافة أشكاله وعلى علاقة تصادمية مع من يقف ضد المجتمع مهما كلف الأمر. فالثقافة تحتاج إلى سلاح يمكنها من الحضور على الأقل، وهذا السلاح يجب أن يتمتع بحماية من يحركه.. فليس صحيحاً أن يصل إلى المنبر من يريد وليس صحيحاً أن يصبح كاتباً من يريد وليس صحيحاً أن نفقد شعبية الثقافة بسبب انحلال القدرة على الدفاع عنها فكل من أراد أن يكون مطرباً الآن يطلق صوته بأي مكان.. وليس مهماً أن يكون له شعبية ما دام هناك من يطبل ويزمر له. وأختم بعض ما عندي الآن بمشهد حضرته: امرأة عددت كتبها التي بيديها وقالت مستشعرة على منبر: أنا لا أفعل فعلاً خسيس ولا أفكر بيوم الخميس.. فصفق لها من معها وقرأت في غير مكان.. التجمع الفلاني أقام أمسية شعرية لعدد من الشعراء والشاعرات في مكان ما.

الاحتضار الكوكبي

سلام الفاضل

أفكارنا ورؤانا شبه الإيمانية حول الطبيعة والكون والأرض، وطبيعتنا نحن أنفسنا... كلها تعرضت إلى زلزلة انقلابية أمام السيل الجارف والشمولي للتقدم الجذري الذي أدخل ثورة في العلوم كافة.

هذا التقدم اقترن بوعي كوني جديد، وعي يجب عليه أن يدرك الملامح ذات البعد البربري في عالم حديث يلهث بتطور آخذ في التسريع الذاتي. فعلى مدى عشرات آلاف السنين انتشرت المجتمعات القديمة من الصيادين - الجامعين فوق الأرض. أصبح بعضها غريباً عن بعضها الآخر بفعل المسافة واللغة والطقوس والمعتقدات والأعراف. كما اختلف بعضها عن بعض، فبدا بعضها ليبرالياً، في حين بدا البعض الآخر تقليدياً منغلقاً، ولكنها شكّلت، على الرغم من اختلافها، الأنموذج الأساسي والأول لمجتمع الإنسان العاقل. ليأتي فيما بعد توسع الحضارات المدينية/الريفية، ويطرد هذه المجتمعات البدائية باتجاه الغابات والصحارى، حيث اكتشفها منقبو العصر الكوكبي قبل القضاء عليها وإبادتها، دون أن يتمثل مبيدوها القسم الأهم من معارفها التي تشكّلت عبر آلاف السنين. ومن هذا المنطلق يمكن رؤية التاريخ بأنه ظهور الدول وتعددها والصراع فيما بينها حتى الموت، إنه المعارك والدمار، وتدفق القوة والسلطة اللتين لا حدود لهما، وتطور التقنيات والعلوم، وظهور الكتابة وتطورها، كما أنه بين الفينة والأخرى، قد يكون رسالة من رحمة وتعاطف وفكر يبحث عن سر العالم. والكتاب الإلكتروني الصادر مؤخراً عن الهيئة العامة السورية للكتاب، ضمن «المشروع الوطني للترجمة» تحت عنوان (الأرض - الوطن)، تأليف: إدغار موران، وآن بريجيت كيرن، ترجمة: د.سلمى دبجن. يبدو كأنه وصية تعرض تعاسة القرن العشرين، وتفتح ثغرة ضوئية نحو قرن قادم حيث يؤسس «إدغار موران» - كما يقول في كتابه (إلى أين يسير العالم) - «نقطة انطلاق للخروج من عصر ما قبل التاريخ للفكر الإنساني المعاصر عبر تفكير متعدد المراكز يكون قادراً على تبني رؤية كونية ليست مجردة، بل رؤية كونية واعية بتعدد الشرط الإنساني؛ تفكير يتغذى من مختلف ثقافات العالم». ويحثنا موران في هذا الكتاب على القيام بخطوات ارتدادية من خلال التفكير بمفهوم الأرض - الوطن، مشيراً إلى أي حد أصبحت أزمات الحاضر كونية، سواء أكانت زلازل اقتصادية، أم اختلالات ديمغرافية، أم تهديدات بيئية. كما أنه يريدنا أن نتسلح ضد العُصاب الجماعي لمجتمعاتنا لتشكيل ما سماه (الهوية والوعي الأرضيين)، فيطرح خيارين لا ثالث لهما: إما أن ندرك الحقيقة الكونية وحدودها الشمولية داخل الوعي، وإما أننا سنسقط ونتهاوى في مستقنع البربرية. كما أنه يبيّن دور تطور العلوم وتطور التقنيات الذي بات يغذي بعضه بعضاً، وأثر ذلك في الاحتضار الكوكبي، بحيث غزا هذا التطور أنسجة المجتمعات المتقدمة جميعها، وزرع فيها بطريقة منظمة منطق الآلة الاصطناعية حتى في الحياة اليومية، وذلك بانتزاع الكفاءة من المواطنين، وإعطائها إلى الخبراء والمتخصصين، حتى فرضت هذه العلوم انقساماتها على الفكر من خلال فرض مبدأ التفكيك والاختزال. ويعرج هذا الكتاب أيضاً على موضوعة إصلاح الفكر إذ يوضح مؤلفا الكتاب بأن: «العصر الكوكبي يتطلب وضع كل شيء في سياق الكوكبي، بحيث تصبح معرفة العالم كعالم ضرورة فكرية وحيوية، ولمعرفة مشكلات العالم وتغييرها ينبغي إصلاح الفكر. غير أن هذا الإصلاح، الذي يتضمن تطوير المعرفة، يدعو بحكم الواقع إلى تعقيد هذه المعرفة». إذاً يمكن القول ختاماً إن هذا الكتاب الإلكتروني المهم يدرس المواطنة الأرضية وأنسنة العلاقات بين المجتمعات، منتقداً السياسات الإمبريالية، ومتطرقاً إلى مرحلة ما قبل التاريخ والقصص الكبرى. كما يكشف أيضاً وعي الإنسان على الأرض، والخلل الاقتصادي العالمي الذي أدى إلى التضامن بين الواحد والكل في الوقت نفسه عند حدوث أزمات واضطرابات اجتماعية أو سياسية تؤدي إلى تدميره.

ولقراءته كاملاً يمكن الدخول إلى موقع الهيئة العامة السورية للكتاب/الكتاب الإلكتروني عبر الرابط التالي:

http://syrbook.gov.sy/archives/4791

عندما يرحل الكبار نزداد تصحراً

شهناز فاكوش

تمر في حيواتنا شخصيات تبقى معالمها ترافقنا العمر كله.. تتربع في ذواكرنا لا تبرح فكرنا وتقفز إلى مساحات الواقع حين تجد لها محددات تفيها حقها.. بغيابها تجدب ملامح كثيرة في صفحات أيامنا.. يزحف التصحر لمفردات الزمن بانتظار غيث يجود بأمثالهم..

قبل وقت قصير غادر مضمار الشعر شاعر القصيدة المهربة الجواد الأكثر تمثيلاً للتشرد العربي، والحزن اللصيق بالانهيار العربي؛ ونوائب الأمة حيث اللاوطن.. مظفر النواب ضابط إيقاع المرهقين من حكامهم، بفقده تغيب مفاصل كثيرة من الحيوية التي كانت تنبعث من بين قوافيه.

ما زال فراغ نزار قباني قاحلاً، فكيف مع غياب كبير آخر في الشعر العربي.. كل غائب عن موقع مؤثر في شعب، يزيد حياتهم تصحراً، بالذات في زمن الردة الأخلاقية، حيث تهشمت القيم.. وتخربت النفوس.. وضاعت طقوس الحياة المجتمعية الممتدة ما بين الحاكم والمحكوم.

النّواب شاعر امتطى صهوة اللغة العربية، عانق كوفيات الفدائيين، أزهر البنفسج بين أصابعه وراحتيه، سمى الأشياء بمسمياتها.. فلا مرادف عنده للخيانة إلا الخيانة.. طارت تراتيل أشعاره في فضاءات الوطن من مشرقه لمغربه.. تتضح هويته مع أول جملة شعرية تقرأها أو تسمعها.

انسحاب بلا وداع.. أيا أبا عادل حزنًا على روحك الهائمة الجميلة، هل آن لها أن تستريح من تعب الطين ومقارعة الكسل. انطفأت شعلة مشعلك التي طالما قارعت الكلام بدعوتك للعمل، تشق عباب الليل لتضيء بسيف يوقد في المهجة جمرة.. أيها الكبير مظفر النواب..

كلما أشاح المرء بنظره عن السوء ازداد سعادة وهناء.. رغم أن رصيد المستقبل اهتزازي كنواس الساعة لا نعرف متى يقف.. لكن لابد أن يقف. الحياة بسيطة لم نعقّدها.. المعري كان يستكثر على نفسه لقب أبي العلاء.. حياة التَعاظم في المعيشة تفقد المرء هيبته وقيمته الحقيقية.

الحكمة تقول: لا أحد يطعن فيك إلا من تمنى أن يكون مثلك وعجز.. سر القوة والتفوق عند أصحاب الفكر والعلماء، في العقل وما احتواه من فهم وإدراك وأسرار. ما يجعلهم يحتقرون أصحاب الفكر الضحل. فاجْمع شتات أمرك وأثرِ مؤنَ عقلك واجعل أمَلك أوسع من متاعب الدنيا

لكل مرتقب.. هل زاد إيمانك بأن الآتي فرج قريب وأفضل من الحاضر، أم وجدت في الرحيل أفضلية في غياب احترام الخصوصيات وتفتت القيم الإنسانية. هل كنت واحداً من أسباب التغيير المناخي للأمزجة.. في احترام المعتقدات والأديان والتاريخ والهوية.. وثقافة الإنسان..

أيا أبا عادل أيها الجريء في الانحياز للعلم والحقيقة.. كل ليل يعقبه نهار ولكل بداية لابد من نهاية.. وبعد كل نهاية بداية جديدة.. الحياة هي حقيقة المسافة بين البدايات والنهايات.. ما كان الأمل مفقوداً يوماً بين طيات مفرداتك.. والغد يلتمع ما بين الحروف الحزينة..

الكذب لا يبقي ولا يذر.. حين أصبح ثوب الحياة أضيق من أحلامنا.. جاء انسحابك دون وداع مفزعاً. رحلت.. وبقيت حياتنا مستباحة للموت وذئاب العالم.. من كنت تشمئز من منظرهم... الخروج من النفق المظلم البارد، يحتاج صبراً في عالم محاصر بالخواء.. واليأس..

كسروا قلوبنا وتركونا نهشاً للهوام.. أيا آية الشمس كم أحرقتِ من الضياء.. أيا لؤلؤة في صدفة بحرية اختبأت ملامحها في ضفائر طفلة قمحية.. أحلامنا اغتالها القدر، وطال زمن الحداد. لم تعد تنطلي علينا شعاراتهم التي تندب الإنسانية وحقوق الإنسان.. لأنهم ذاتهم قتلة الإنسان.. بغياب الكبار نزداد تصحراً.. فليرأف بنا خالقنا..

كيف جاءت إلينا سُنبلاته العجافِ ؟..

منال محمد يوسف

أُنعاتبه على ما جرى و ما مضى ، في سرّ الوجدِ و سرّ العتابِ
أنعاتبُ توسلاتِ الآمالِ
و قصيدة الجراح التي يسمو جرحها فوق المدّ و أفقِ الكلامِ
و «غصن المحبّة « إذ التوى و أصابه وجع الالتواءِ ؟..
أُنعاتبُ خيوط الشّمس إذ لم تحبو إلينا و حلّ بنا الشيء الموجع المُسمّى «غربة الانكفاء «
أتُعاتبُ يا زمن
و نُعاتبُ معك سرّ الحروف إن لم يهدأ بالها ..وبال أمر الوبالِ
أتُعاتبُ «لغات النجوى « إذ لم تأتِ و تجلب معها فرحة الأعيادِ
أتُعاتبُ حبيباً خلَّ بوعده و قيلَ :الغدرُ واحد ..كما الموت واحد ولو تعددت الأسباب؟!
أتُعاتبُ نجم الوجع إذ جاء إلينا وقلنا : صبراً على قساوة الأوجاعِ
أتُعاتبُ الصبحُ إذ بكى قهراً و نعى «طفلة الأنوار «
أتعاتبُ من مشوا على الجمرِ آلاف الأميال و قد نطق صوتهم المقهور : ماذا نفعلُ
إذ تعبَ منا المشوارِ
أُنعاتبُ البحار إذ أصبحت أمواجها تحنُ و تسألُ إذ فُقدت «فلسفات الرمالِ «
أتُعاتبُ الزّمانِ
إذ أعتل الشّوقُ في رحلتيّ الصيفِ والشتاءِ

أتُعاتبُ الأنجم إن رحلَ ضوء سناها وبقيتْ كما «أرواحنا المشتاقة « تُحادث جرح الغيابِ ؟
أتُعاتبُ السؤال القمريّ و الجواب الاستفهامي إذ بقي قيد الانتظار ؟..
أتُعاتبُ كلّ الفصول التي تأتي و تذهبُ و لا يأتيها فصل الخير ..
ولغات تُمطر حروفها كالشتاءِ
و الصوتُ يعلو و يقول : ماذا عساكَ أن تفعلُ بي يا زماني
أتُعاتبُ الوقت إن تحدّث شوقاً و سالَ «دمعه و دمعنا من عينيّ الأيّام
أتُعاتبُ ؟.. و لا تملُ التحدّث على أن نضربُ موعداً مع أشياء تُسمّى «موعد الاقترابِ»
أُنعاتبُ الزّمان على جرى و لا ترتجي سُئلَ الحالِ والجوابِ
أُنعاتبُ من يريدُ أن يرحلُ بقصة «عشقنا الأزليّ « و يهدم تلك التلالِ
أُنعاتبُ من تناسى بأنّ المحبّة «سورة « في الإنجيلِ والقرآن ؟..
أُنعاتبُ من لا ينفعُ معه العتابِ ..... و نشتكي أمرنا إلى «الله «
نشتكي لك يا زماني .....
و محبرتنا تكتبُ أنعاتبُ الأيّام وسموّ وعدها المرتجى ؟...

من العالم

فيليب باربو: اللّغة غريزة المعنى

في حوار مهم مع فيليب باريو ترجمته: مروى بن مسعود ونشررته مجلة الدوحة تحدث عن اللغة بوصفها الثقافة والفكر

ما كانت الغاية من الكلام؟ للإجابة عن هذا السؤال الغامض والرائع على حدٍّ سواء، يقترح عالِم اللُّغويّات «فيليب باربو» سيناريو خاصاً ومبتكراً في كتابه «غريزة المعنى: مقال عن عصور ما قَبل التاريخ للكلام» (٢٠٢١).

في ردهة ساكنة بأحد الفنادق في بوليفارد سان جيرمان التقينا بـ«فيليب باربو». قَدِمَ هذا اللُّغويّ من كيبيك، وهو يعرف باريس جيّداً بعد حصوله على الدكتوراه من جامعة باريس الثامنة، التي كانت صرحاً مرموقاً في علم اللّغة في السبعينيّات. كان مهتمّاً بما يجعل الإنسان إنساناً: اللّغة. لقد شكّلت أصول اللّغة لغزاً كبيراً خاض فيه الباحثون باعتماد العلم الذي سمح لهم بالتكهن والتخمين وافتراض لماذا وكيف، هذه الأسئلة المركزية التي تغذّي بحثنا عن المعنى. وهذا الموضوع تحديداً شغل «فيليب باربو» في كتابه الأخير من ثلاثة فصول، وطرح افتراضاً غير مسبوق: هل اللّغة غريزة بشرية طوّرتها حاجتنا للمعنى؟.. في هذه المُقابلة نستطلع أفكاره حول هذا الموضوع.

في كتابك الأخير تتحدّث عن الإدمان الفكري بالمعنى، هل هذا ما دفعك لأن تصبح لُغويّاً؟

– نعم في الواقع! لكن في ذلك الوقت، لم يحظَ المعنى بأي اهتمام يُذكَر. في نهاية سنوات عملي كأستاذ، بدأ الناس يفكّرون في شيءٍ آخر غير الأشجار والعلامات وأجزاء الرموز، حينها أصبحت مهتمّاً بجذور اللّغة. في العقد الأول من القرن الحادي والعشرين مع الاكتشافات العلمية الحديثة، ظهر العديد من الكتب حول تطوُّر اللّغة عبر العصور. كنا نبحث عن لغةٍ أصلية، وقد نشر الكثير من المجلّات هذا البحث. استأثر الموضوع بجُلّ اهتماماتي، لكن لم أجد التفسير المُناسب.

أنت تتحدّث عن لغةٍ أصلية، أسطورة بابل الشهيرة، التي تتعارض مع نظريات الظهور المتزامن والجمعي للغة في أجزاءٍ مختلفة من العالَم. أين نحن اليوم من هذه النظريات؟

– لا يزال البعض يسعى وراء اللّغة الفريدة في أسطورة بابل، بينما البعض الآخر يبحث عن أصلها في امتداد لغة الحيوانات. قبل بضع سنوات، مرضت بشدّة وعندما نُصاب بالمرض نلازم الفراش عادةً، نتأمّل ونقرأ، كثيراً. لمدة سبع سنوات، عملت على هذا الكتاب وانتهى بي الأمر إلى تطوير شيء لا يشبه النظرية، بل كان عبارة عن سيناريو معقول وموثّق حول أهمّ التطوُّرات ذات الصلة في مجموعة واسعة من العلوم: الأنثروبولوجيا، وعلم الوراثة، وعلم النفس، وعلم الحفريات.

أنت تربط ظهور اللّغة المنطوقة بأنواع الرئيسيات؛ الإنسان، بعد أن بدأ في الوقوف، خضع لتغييرات تشريحية ونفسية سمحت له بإصدار أصواتٍ جديدة.

– لا يمكننا الإشارة إلى تاريخ محدّد، فالتطوُّر يستغرق آلاف السنين. لقد بدأت عصور ما قبل التاريخ للكلام منذ حوالي ٢ مليون ونصف، ٣ ملايين سنة، عندما تمكّنت أنواع من الرئيسيات من الوقوف، بعد الطفرة الجينية والتغيُّرات المناخية. لقد أحدث الوضع الدائم لنوع الإنسان تغيُّرات كبيرة: صغر حجم الأنف، وتطوّر الدماغ وتغيّرت مواقع الحنجرة

والعمود الفقري. سمح تعديل الحنجرة بإصدار أصوات جديدة لا تتناسب مع لغتهم الحيوانية: التنبيه والصيد والتزاوج. ربما بقطعة من الحجر تمكّن أحد أعضاء المجموعة من جرح نفسه والصراخ مجدّداً. هذه الصرخة الجديدة نبهتهم إلى قدرتهم الخطابية والمعنى المُحتمَل الذي يمكن أن تحمله الصرخة.

في كتابك تشرح أن التغييرات التشريحية سمحت بظهور الكلام، تماماً كما أن الوعي بمهارات التحدُّث قد سمح بتطوُّر الذاكرة. إذن فالنوعُ قد اختبر تأثيراً مزدوجاً للجسدي على النفسي، والنفسي على الجسدي؟

– بالضبط! المعنى تحديداً هو الذي ساهم في نمو الدماغ، وكذلك تطوُّر هذا النوع. بفضل تطوُّر النطق الصوتي، بدأ التخزين في الذاكرة على المُستوى العصبي. لم يكن دماغ الرئيسيات المُتطوّرة متطوّراً جدّاً، فقد كان طوله (٧٠٠ مم٢). ظهر تدريب للذاكرة بالتزامن مع تطوُّر النطق. تطلب الأمر ذاكرة أكبر، ثمّ مساحة أكبر، وبالتالي زيادة سعة الدماغ.

تُرجع هشاشة المجموعات إلى الظروف المناخية القاسية. لذلك من الممكن أن طوفاناً قد جرف اللّغة مع مخترعيها. إذا كانت اللّغة قد تطوّرت على أي حال، ألا يمكن أن نفترض أن اللّغة إمّا هي تطوُّر جيني تمّ ترميزه في جيناتنا أثناء التطوُّر، وإما أنها ظهرت في الوقت نفسه على الكرة الأرضية كتطوُّر طبيعي للغة الحيوان؟

– هذا سؤال معقّد للغاية. لا أعتقد أن اللّغة قد تشكّلت في مكانٍ واحد في شرق إفريقيا منذ ملايين السنين، وبالتأكيد كان هناك نمط التطوُّر نفسه في مكانٍ آخر. ومع ذلك، أعتقد أن هذه اللّغة ليست امتداداً لغريزة الحيوان. لا يوجد كائن حي واحد لا يتواصل.

النقطة المُشتركة الوحيدة بين لغة الحيوان ولغة الإنسان هي التواصل تحديداً. الآن، هل اللّغة تطوّرت وأصبحت جزءاً من جيناتنا؟ كنا نعتقد ذلك في الخمسينيات من القرن الماضي. اعتبر بعض الباحثين الكلام على أنه عضوٌ وراثي، لكن من الناحية العلمية ليست لدينا جينات لُغويّة. بينما يؤمن البعض الآخر بفطرة اللّغة مثل (تشومسكي)، لكني لا أوافقه الرأي.

وإلّا فإنّ الأطفال حديثي الولادة يمكنهم التحدُّث عن أنفسهم، أليس كذلك؟

– بالضبط، وحتى لو لم نجد اللّغة في الجينات، فهي موجودة في الطريقة التي يعمل بها الدماغ. هذا يظل لغزاً رغم أننا نعلم أن بعض الألحان القشرية تنشط فيما بينها أثناء الكلام. الطفل في الرحم قادر على التمييز بين اللّغة الفرنسية واللّغة الأجنبية، ولكن القول، من هذا المنطلق، إنه مجهّز لهذا الغرض وراثياً، لا أوافقه. أعتقد أن هذه العملية تمثّل جزءاً لا يتجزّأ من مليوني ونصف عام من التطوير.

هل عَزلتنا اللّغة عن غريزتنا؟

– اللّغة ليست غريزة بحكم التعريف. نحن قادرون على تكوين عدد لا حصر له من الجمل، وترجمة عدد لا حصر له من الأفكار شفهياً. لقد عُزلنا تماماً عن عالَم الحيوان وهذا هو المعيار الحقيقي الوحيد الذي يفصلنا عن هذا الأخير، وبالنسبة لبقية الأشياء فيمكننا دائماً العثور على روابط قويّة جدّاً.

لدينا اليوم لغةٌ غنيّة جدّاً ومتطوّرة باستمرار. هل تعتقد أنه بعد ٣٠٠ عام ستكون لغتنا بعيدة كلّ البُعد عن اللّغة التي نتحدّث بها اليوم؟

– كلّ لغة ستتطوّر في نطقها ومفرداتها. التكنولوجيا تغيّر اللّغة. من ناحيةٍ أخرى، سجلنا اللُّغويّ اليوم يتضمّن مفرداتٍ إنجليزية أكثر ممّا كان قبل عشرين عاماً، وبالتأكيد سنستخدم المزيد من المُفردات في غضون عشر سنوات من الآن.

لكن اللّغة العامية لن تتأثّر إلّا قليلاً. ستبقى الشوكة شوكة. من المُحتمل أن تتطوّر المُفردات في قطاع الإعلان والأعمال والدراسات، وما إلى ذلك. مفردات على غرار: (**coach**، **sale manager** – مدير مبيعات، مدرب،) متداوَلة كثيراً اليوم. في كيبيك، على سبيل المثال، يستخدم الشباب أصواتاً جديدة ويغيّرون نغمة نطقهم. بدأت اللّغة الإنجليزية في الاختراق، وبالتالي قد تصبح القاعدة في المُستقبل. لكن إذا سألتني هل ستختفي الفرنسية بعد ٣٠٠ عام؟ لا. الكلمة المكتوبة هي حصن اللّغة. طالما أن تراكيب الجملة هي نفسها، سنتحدّث الفرنسية.

هل تعتقد، كما هو الحال مع العربيّة المنطوقة والعربيّة الأدبيّة، يمكن أن يكون لدينا هذا التمييز في الفرنسية؟

– ليس من المُستبعَد على الإطلاق أن تصبح الفرنسية المكتوبة أكثر عزلة وألّا يتمُّ التحدُّث بها كما هو الحال اليوم. لكن هل ستصبح الفرنسية التي نتحدّث بها اليوم في باريس لهجة؟ لا، الناس يمكنهم القراءة وهم متعلِّمون. عملية محو اللّغة سوف تستغرق مئات ومئات السنين.

أم تغييرات هيكلية مهمّة للغاية، انهيار أنظمة معيّنة جعلت اللّغة القديمة بالية، لأنها أكثر ملاءمة؟

– نعم بالضبط. أو كذلك الغزوات التي من شأنها أن تنتج مزيجاً من اللّغات والتراكيب اللُّغويّة، ولكن مع دولنا القومية والقواعد التي تتحكّم في السلوك الاجتماعي على نطاقٍ كوكبي، هناك فرصة ضئيلة لحدوث ذلك. ستبقى اللّغات بالتأكيد على ما هي عليه. ومع ذلك، ربما في غضون ١٠٠ عام، سيحل الصينيّون محلّ الأميركيّين.

شاعر وقصيدة

بردى

جورج صيدح

نشأ الشاعر يحفزه الإقدام، فهاجر إلى القاهرة عام ١٩١٢م وتعاطى فيها التجارة، ثم إلى باريس فأقام فيها مدة طويلة حتى سنة ١٩٢٥م، ولم تقف مواهبه وعصاميته عند هذا الحد، فهاجر إلى فنزويلا عام ١٩٢٧، وأقام في العاصمة كراكس، وأنشأ فيها مجلة (الأرزة) لخدمة الجالية العربية هناك، ثم إلى الأرجنتين عام ١٩٤٧م، وكان موفقاً بأعماله التجارية التي بنيت على أساس من الأمانة والخلق المتين، واشتهر في الأوساط الاجتماعية كتاجر مستقيم، وشاعر ملهم، ووطني صادق نبيل، وقد برز اسمه في السنوات الأخيرة، فأخذت صحف الوطن والمهجر تنشر قصائده، وهو ينظم الشعر في اللغتين الفرنسية والإسبانية.

نشر ديوان النوافل عام ١٩٤٧م، وقد تجلت فيه قوميته وحنينه إلى وطنه، ورصد ريعه لمؤازرة فلسطين، وأعقبه بديوان (نبضات)، وقد طبعه في باريس عام ١٩٥٣م، ويحتوي على ثلاثين قصيدة مع رسوم فنية، وكتاب بعنوان (أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأميركية)، أصدرته جامعة الدول العربية، وقد جمع فيه محاضرات ألقاها في معهد الدراسات العربية العالمية في القاهرة عام ١٩٥٦م.

من يطلع على إنتاجه الأدبي يطرب ويعجب ويعلم أن هذا الشاعر الموهوب يتقد ذكاء وفطنة، والأدب يظهر في حديثه وهدوئه واضطرابه، أسلوبه عربي ناصع في فن جديد، فإذا شاء القدر أن يهجر هذا البلبل الصداح مسقط رأسه ربوع الشام ليشدو فوق أرز لبنان، فإن عاطفته الصادقة لم تحجبه عن وطنه الأصلي، فقام يناجي بردى بقصيدته الرائعة وبأسلوب فياض بالحنين أوقد في قلبه نار المحبة فأنطقه بالشعر أو السحر.

«بردى»

حلمت أني قريب منك يا بردى
أبلُ قلبي كما بل الهشيم ندى
ونصب عيني من البلدان أبدعها
سبحان من أبدع السكان والبلدا
دمشق أعرفها بالقبة ارتفعت
بالمرجة انبسطت، بالشاطئ ابتردا
بالطيب يعبق في الوادي، وأطيبه
في تربة الأرض غذاها دم الشهدا
أمشي على الضفة الخضراء مؤتنساً
بالحور والسرو والضفاف، منفردا
وأهبط المنحنى مستنطقاً فمه
صدى الليالي الخوالي لو يعد صدى
تغوص في لجك الزرثار ذاكرتي
على الأغاني التي أسمعتني ولدا
من الهدير على البطحاء مبتدرا
إلى الخرير على الحصباء متئدا
فأنثني وربيع العمر عاودني،
كأنني لم أضعه بالنزوح سدى
يا مورد الغوطة الفيحاء، ما بخلت
بالأطيبين وما ضاقت بمن وردا
أهواك في ثوبك الفضي زركشه
بدر الدجى بشعاع حوله مسدا
أهواك في صفحة للفجر ضاحكة
خط النسيم عليها شعره زبدا
أهواك في قلبك الشفاف لاح به
ظل المآذن والأشجار مطردا
أهواك كالليث وثاباً ومقتحماً
كالأفعوان تلوى، كالغزال عدا
أهواك في يقظتي، أهواك في حلمي
أهواك مقترباً، أهواك مبتعدا
قسمت كفك . حبًا بالقطين . إلى
أصابع سبعة فاضت عليه جدا
ملأتُ منك يدي بعد امتلاء فمي
ولو قدرت ملأت الصدر والكبدا
حتى أقول لدهر سامني ظمأ
في غربتي . لن تراني ظامئاً أبدا

× × ×

يا نهر، أثلجت صدري
بالقرب من بعد هجر
آمنت أنك نهري
حلم الليالي صياح الديك نفّره
فلا دمشق ترى عيني ولا بردى
أفقت لم أجد الأنهار راقصة
والدوح مصطفقاً والعندليب شدا
ما في يدي أثر الماء الزلال ولا
فمي ترطب بالسلسال منه صدى
ولا الجنائن بالأثمار عامرة
وبالصحاب، كأزهار الربى عددا
أصبحت كالنسر مهصور الجناح رأت
عيناه ما قرف الجرح الذي ضمدا
أخفى عن السرب تحت الريش قرحته
فظنه السرب في التحليق قد زهدا
حولي حطام يعاف العيش مالكه
إذ لا يرفّه نفساً منه أو جسدا
وموطن منكر سادت زعانفه
فيه الرطانة فصحى والضلال هدى
وأوجه كجلابيب مرقّعة
لو استمدت لعاب الشمس لانعقدا
وألسن تلحس الأيدي وتلدغها
كأنها علق في أخدعين مدى
والصحب كثر إذ قرّبتهم ثلجت
بطونهم وغلت أكبادهم حسدا
آلى عليّ وفائي ستر عورتهم
فما بنو وطني . مهما اعتدوا . بعدى
ما لي احتملت سنين البين مصطبرا
واليوم لا صبر لي فيها ولا جلدا
ضممت طيف الأماني حين زار فلم
يترك على الصدر إلا الهم والكمدا
إن أفلت الطير من أسر فعودته
أقسى عليه من الأسر الذي عهدا
والبرق تؤذي حسير الطرف ومضته
لولاه ما أذكر النور الذي فقدا
بئس الحياة حياة لا نعيم بها
إلا لمسترق من نومه الرغدا
إن كان وردك آلا واللقا حلما
يا دهر دعني غريباً ظامئاً أبداً

× × ×

يا نهر مأساة عمري
عادت وما زلت تجري
ما أنت يا نهر نهري

× × ×